ابراهيم النعمة

لغة القرآن

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

التنضيد الالكتروني: مطبعة أنوار دجلة

مطبعة أنوار دجلة

من نور كتاب الله

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥.

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣.

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فصلت: ٢ – ٣.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ طه: ١١٣.

❊ ❊ ❊

الإهـــداء

الى كل من يريد أن يعرف صلة اللغة العربية بالإسلام...

الى الذين أماطوا اللثام عن وجوه من حارب لغة القرآن، وأقاموا الدليل بعد الدليل على أنّ العدوان على اللغة العربية هو عدوان على الإسلام...

الى الذين وقفوا كالطود الأشم في وجه الشعوبية الحديثة التي تريد أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير...

الى حماة لغة القرآن في كل مكان...

أهدي هذا البحث المتواضع

❊ ❊ ❊

مقدمـة

نحمدك اللهم ونستهديك ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلّم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمت به الشرائع وأرسلته رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين وأصحابه المخلصين الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك الشريف الى الناس كافة، اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ إنك لا تخلف الميعاد.!

أما بعد:

فمما لا يختلف عليه اثنان أن لغة كل شعب هي رمز حياته، وعنوان مجده، وأساس وحدته. واللغة العربية لغة حية، دقيقة في نظامها، غنية في معجمها، قادرة على التعبير عن جوانب الحياة كلها، بها أنزل الله قرآنه الكريم، وبها دوّنت عقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا وثقافتنا وحضارتنا.

وقد اهتم بها المسلمون من قبل أي اهتمام؛ لأنها لغة الإسلام الرسمية، فلم يعرف العالم إسلاماً بلا قرآن، ولا قرآناً بغير اللغة العربية، فكان ذلك من أسباب احتفاظ أمتنا بشخصيتها، واستعصائها على الذوبان في فكر المستعمر الذي غزا كثيراً من البلاد العربية والإسلامية.

وهذه رؤوس أقلام فقط في لغة القرآن؛ لتكون ثقافة عامة لشبابنا، يعرفون من خلالها ما لهذه اللغة من منزلة رفيعة، لا تصل الى عشر معشارها أية لغة اخرى أولاً، ولئلا يخدعوا بالكلمات المعسولة التي يراد من ورائها صرفهم عن لغة القرآن ثانياً، وذلك بتشجيع اللغات واللهجات القومية المنبثة في البلاد العربية هنا وهناك.

وقد آثرتُ أن يكون البحث مختصراً لينتفع به أكثر عدد من الناس، وليعلم كل مسلم

– بعد ذلك – أن تَعَلُّمَ هذه اللغة وتعليمها والدفاع عنها هو لون من ألوان العبادة لله إذا ابتُغي بذلك وجه الله. وإتماماً للفائدة، وضعت في نهاية البحث محاضرة عالم الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله (العربية: فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الامم غير العربية).

والله أسأل أن يجعل عملي هذا وغيره من الأعمال خالصاً لوجهه الكريم، والله يقول الحق، ومنه –وحده– الهداية والسداد.

❊ ❊ ❊

لغــة القـــرآن

حول تدوين لغة القرآن:

يقف الدارس للغة العربية -لغة القرآن- مطأطئ الرأس معجباً أمام عظمة الجهود التي قام بها علماء هذه اللغة في جمعها وتدوينها. ولكن إذا عُرِف السبب بطل العجب -كما يقولون-: فقد أحبَّ هؤلاء العلماء لغة القرآن من صميم قلوبهم وعشقوها عشق متيم ولهان، حتى ملكت عليهم قلوبهم وحياتهم كلها؛ لأنها لغة القرآن وكفى، وخدمتها عبادة من أجلّ العبادات مع النية، وكان هذا هو سر تحملهم التعب والنصب من أجل تدوين تلك اللغة.

وننظر الى سلف الأمة وهم يقومون بتدوين هذه اللغة، فنرى اعتمادهم على الذاكرة في أول الأمر: فهم يسمعون الكلام من الأعراب الفصحاء، وينقلونه الى من بعدهم بالروايات الشفوية؛ إذ لم تكن الكتابة شائعة ذائعة آنذاك.

ولقد تجلى اهتمام الناس بلغة القرآن في صورة من أجمل الصور، بعد أن أشرقت شمس الإسلام على الوجود، فأراد كثير من علماء اللغة أن يقفوا على أسرارها لمعرفة معاني القرآن أولاً، ومعرفة ما ترمي اليه احاديث النبي ﷺ بعد ذلك، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه أفصح العرب.

ونقرأ عن صحابة النبي رضي الله عنهم وهم يجلسون مع نبيهم الكريم، فلا نجدهم يسألونه إلا عن القليل من الآيات التي يستشكل فهمها عليهم، فيفسرها لهم رسول الله ﷺ. ولم يسألوه أسئلة كثيرة في ذلك؛ لأنهم كانوا أعلم الناس بلسان العرب الذي نزل به القرآن الكريم: فكانوا يدركون بما فطروا عليه من فصاحة وبلاغة وبيان، وبما اكتسبوه من فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء تفسير كتاب الله.

وبعد ان انتقل النبي صلوات الله وسلامه عليه الى جوار ربه، وكثرت الفتوحات الإسلامية، ودخل في دين الله من غير العرب من دخل –وكانوا كثرة كاثرة من الأمم والشعوب– صار الناس بحاجة الى أن يسألوا عما يستشكل عليهم فهمه من كتاب الله، فيولون وجوههم نحو مَنْ صاحَبَ النبي الكريم، فيأتون علماء الصحابة: يسألونهم عما استغلق فهمه عليهم من الفاظ القرآن الكريم، لأن الصحابة كانوا أقدر الناس على فهم كتاب الله.

ولقد بلغ علماء اللغة من الدقة أعلاها في جمع لغة القرآن وتدوينها، وحرصوا على أخذها من الفصحاء دون غيرهم ممن اختلط بالأعاجم او جاورهم، وذلك من أجل أن تظل لغة القرآن سليمة عن الشوائب، فلم يدوِّن العلماء –في الغالب الأغلب– إلا ما اطمأنوا الى فصاحته، وهذا ما وجدناه في القرن الثاني من الهجرة النبوية، فقد رأينا فيه أفذاذاً من العلماء من ذوي الهمة العالية ممن يغار على لغة القرآن يخرجون الى البادية سنوات وسنوات؛ ليجمعوا ما قالته العرب من أفواه الناس الفصحاء –وبخاصة لغات البدو– التي ظلت نقية خالصة من الشوائب؛ إذ لم يختلطوا بغيرهم من الأعاجم، ولم يأخذ علماء اللغة عن قبائل تسكن الحضر، بل لم يأخذوا حتى عن قبائل عربية اذا كانت مجاورة لقبائل غير عربية؛ خشية أن تكون تلك القبائل قد أصابها شيء من رطانة الأعاجم. وكان الفضل الكبير في جمع الفاظ اللغة وتصنيفها وشرح معانيها وما تدلّ عليه لعدد من علماء اللغة الأوائل الذين عايشوا شظف الحياة وخشونتها، وتحملوا ما تحملوا من مشاق، وذاقوا ألواناً من التعب والنصب والجهد، وأفنوا أعمارهم من أجل هذه اللغة منهم: (الاصمعي) و(ابن الاعرابي) و(وابو عبيدة) و(ابو زيد الانصاري) و(قطرب) و(ابن قتيبة) و(المبرد) و(النضر بن شميل) وغيرهم وغيرهم... ولقد أبان علماء اللغة ما تميزت به العربية عن غيرها من اللغات، ومن ذلك: (الاشتقاق والنحت والاضداد والترادف والمشترك، بل إنهم قد حرصوا على إحياء الألفاظ التي غابت او كانت غير شائعة على ألسنة الناس؛ فرصدوها وفسروها وأثبتوا فصاحتها

وقيمتها في الاستعمال فيما عرف عندهم بـ(النوادر والغرائب والشوارد)، ونبهوا على الألفاظ التي تنفر عنها الأسماع، وضرورة ابتعاد الأدباء او الكتّاب عن استعمالها فيما عرف عندهم بـ(الوحشي) او (حوشي الكلام)، كما أنهم لم يغفلوا رصد ما دخل الى العربية، وصار مألوفاً في لغة الناس تحت اسم (المعرب والدخيل)، وتتبعوا الدلالات الجديدة التي اكتسبتها الفاظ عربية قديمة؛ فحملت دلالات مخالفة لما كان يعرفه العرب، وعرف ذلك تحت مصطلح (المولد)[1]).

لغـــةً واسعـــة:

اللغة العربية لغة قديمة، وقد بلغت قمة نضوجها حين أنزل الله قرآنه الكريم على النبي محمد ﷺ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٥، ولمّا دخلت شعوب كثيرة بهذا الدين، وتعلموا لغة القرآن، فصارت اللغة العربية لغة عالمية، يقرؤها من يدين بالإسلام، ونزل القرآن الكريم باللهجة القرشية المضرية.

ولقد قرّر علماء اللغة: أن العربية أرقى اللغات، وانها غنية بثروتها اللغوية، ويكفينا أن نعلم أن كتاب الصحاح للجوهري يضم ٤٠٠٠٠ أربعين ألف مادة، وان القاموس المحيط للفيروز آبادي يضم ٦٠٠٠٠ ستين ألف مادة، وان لسان العرب لابن منظور يضم ٨٠٠٠٠ ثمانين ألف مادة، وتاج العروس للزبيدي يضم ١٢٠٠٠٠ عشرين ومائة ألف مادة، وان أبنية كلام العرب يبلغ ١٢٣٠٥٤١٢ كلمة كما يقول الخليل بن احمد الفراهيدي، وكل ما يستعمل من ألفاظ هذه اللغة لا يتجاوز عشرة آلاف من المواد. وليس هذا كل لغة العرب، فهناك كثير منها عفا عليه الزمن، وذهب أثره. وقد قال الكسائي:

---

(١) المدخل الى مصادر اللغة العربية للدكتور: سعيد حسن بحيري ص١٤، الطبعة الثانية ١٤٢٤ – ٢٠٠٤، مؤسسة، القاهرة.

(قد درس من كلام العرب كثير)[1].

وقال ابو عمرو بن العلاء:

(ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير)[2].

ولقد وقف كثير من البلغاء أمام سعة اللغة العربية معجبين بها، حتى نقل ابن فارس قول بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي ثم قال: (وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً. وما بلغنا أن أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها)[3].

وقد قال ابن فارس هذا؛ لأن الشيء الواحد قد يكون له مائة اسم او اكثر، وهذا ما قرره علماء اللغة، فقال ابن خالويه:

(جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتين)[4].

وقال يوماً في مجلس سيف الدولة بحلب: أحْفظ للسيف خمسين اسماً.

وسأل هارون الرشيد يوماً الاصمعي عن شعر غريب ففسره له؛ فعجب الرشيد منه وقال: (يا اصمعي، إن الغريب عندك لغير غريب! فقال: يا امير المؤمنين، ألا أكون كذلك، وقد حفظت للحجر سبعين اسماً)[5].

ويذكر علماء اللغة أن للماء ١٧٠ سبعين ومائة اسم، وللمطر ٧٠ سبعين اسماً.

ونقرأ عن (الفيروز آبادي) صاحب (القاموس المحيط)، فنراه قد ألّف كتاباً عنوانه:

---

(١) مقال: اللغات بين التعامل الواقعي والتأصيل الشرعي للدكتور: عبدالله قاسم الوشلي ص٨٢ المنشورة في مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد: الثامن من المجلد التاسع لسنة ٢٠٠٤. ومعنى درس: ذهب أثره.

(٢) المرجع السابق ص٨٢.

(٣) الصاحبي لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ص٢٦ تحقيق: احمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٤) الصاحبي لأبن فارس ص٢١.

(٥) الصاحبي لابن فارس ص٢١.

(الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف)، وله كتاب آخر في (اسماء العسل)، قالوا: إنه جمع فيه ثمانين اسماً للعسل[1].

وقال الدكتور عدنان الخطيب:

(إذا تفاخرت اللغة كلٌ بمعجمها، فالفخر كل الفخر لأمها الضّاد؛ إذ لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم، وسعياً في جمعها وتدوينها، وبحثاً في مفرداتها، وتعقباً لدلالة الحرف الواحد من حروفها، بحسب موقعه من اللفظ الواحد)[2].

وليست سعة اللغة العربية بما تحويه من الألفاظ وحدها، بل هي -ايضاً- في دقة عباراتها، وما تحمله من قدرة على تعابير يحتوي الواحد منها على عدد من المعاني الثانوية لا تعرف بغير لغة العرب.

إن الدارس للغة القرآن ليقف مذهولاً أمام ما تحمله من غنىً في مفرداتها، فوق سبك جملها، وجرس ألفاظها، ووفرة دلالاتها، وقوة تعبيرها، وبراعة تصوير عباراتها. إنها تملك من الدقة ما لا تملكه غيرها من اللغات. وليس غنى العربية بمفرداتها وقفاً على شؤون الحياة المادية -ولو أنها من أهم جوانب اللغة- بل تشتمل -ايضاً- على شؤون الحياة المعنوية، وكل من يقرأ معجمات المعاني، يتجلى أمامه غنى المفردات اللغوية، ودقة التعبير الى حد الإعجاز اللغوي وهذه أمثلة على ذلك، قال الثعالبي:

إذا (أخرج المريض) او المكروب صوتاً رقيقاً فهو الرنين، فإن أخفاه فهو الهنين، فإن أظهره فخرج جافياً فهو الحنين، فإذا زاد فيه فهو الأنين، فإن زاد في رفعه فهو الخنين، فإذا زفر به وقبح الأنين فهو الزفير، فإذا مدّ النفس ثم رمى به فهو الشهيق، فإذا تردد في نفسه

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص١٩٤ - ١٩٨، دار المعارف، القاهرة.

(٢) المعجم العربي بين الماضي والحاضر تأليف: الدكتور عدنان الخطيب ص٥ نقلًا عن كتاب: ماذا قدّم المسلمون للعالم للدكتور راغب السرجاني ١/ ٣٨٩ - ٣٩٠، الطبعة الخامسة ١٤٣١ - ٢٠١٠، مؤسسة إقرأ، القاهرة.

في الصدر عند خروج الروح فهو الحشرجة)[1].

وانظر الى الثعالبي -ايضاً- وهو يتحدث في أوصاف السحاب وأسمائه فيقول:

(أول ما ينشأ السحاب، فهو: النشر، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب، فإذا تغيرت له السماء فهو الغمام، فإذا كان غيم ينشأ في عُرْض السماء فلا تبصره ولكن تسمع رعده من بعيد فهو العقر، فإذا أطلّ وأظلّ السماء فهو العارض، فإذا كان ذا رعد وبرق فهو العرّاض، فإذا كانت السحاب قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض، فهي النمرة، فإذا كانت متفرقة فهي القَزْع...)[2].

ويستمر الثعالبي فيذكر لكل وصف من أوصاف السحاب اسماً خاصاً به.

ويتحدث (ابن سيده) في المطر الذي ينزل من السماء بين الكثرة والقلة وما بين ذلك، فنجد لكل حالة من حالات نزوله اسماً خاصاً به فيقول:

(الجود من المطر فوق الدِّيمة. والدّيمة: المطر الكثير الدائم، الوبل: فوق الجود من المطر الشديد القطر. والبعاق: الذي لا شيء أشد منه. والساحية: التي تقشر وجه الأرض، وهو المطر الذي يسحي ما أتى عليه فيسيل به. والقشرة: مطرة شديدة تقشر وجه الأرض. والقاعف: الشديد الذي يقعف الحجارة: أي يجرفها عن وجه الأرض)[3].

ولم يكن ذلك معروفاً لدى الخاصة من الناس وحدهم، بل كان معروفاً حتى لدى قسم من الناس العامة، وقد ذكر لنا قيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلى طول بكائه على ليلاه، مستخدماً اسماء المطر فقال:

سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمةً وسحاً وتسجاماً إلى همـلانِ[4]

---

(١) فقه اللغة وسّر العربية تأليف الإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ص٢٣٨، بتحقيق الدكتور: جمال طلبة، الطبعة الرابعة ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص٢٩٦-٢٩٧.

(٣) المخصص لابن سيده ٢/ السفر التاسع/ ١١٤.

(٤) السِجال: ملء الدلو، التهتان: تتابع المطر، الوبل: المطر الشديد، الدِّيمة: المطر النازل بسكون، السح: المطر الغزير، التسجام: الصعب، الهملان: فيض دمع العين. وهذا البيت وما قبله يعدّ من عيون

ومن الإحكام الدقيق في العربية: وجود كلمات كثيرة يُظن أنها من المترادف اللفظي الذي يعطي معنىً واحداً، وما هي كذلك، فإن لكل لفظ من الألفاظ معناه الخاص به: كالعام والسنة والبُّر والقمح، والخوف والخشية، والقيام والوقوف، والقعود والجلوس، والصفة والنعت، والسؤال والاستفهام، والإعادة والتكرار، والإقرار والاعتراف، والشكر والحمد، والمدح والثناء، والعتاب واللوم... وغير ذلك من الألفاظ الكثيرة، وقد أوضح الفرق بين هذه الكلمات وغيرها: اللغوي الكبير أبو هلال العسكري في كتابه القيم (الفروق اللغوية)، وهو كتاب مطبوع معروف.

ويفصح الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله عن ترتيب أجزاء (الحب) وصفاته، وتبيان مقداره فيقول:

(الهوى، ثم العلاقة؛ وهي الحب اللازم للقلب، ثم الكلف: وهو شدة الحب، ثم العشق، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب، ثم الشغَف: وهو إحراق الحب للقلب مع لذة يجدها، وكذلك اللوعة واللاعج؛ فإن تلك حرقة الهوى، وهذا هو الهوى المحرق، ثم الشغف: وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب، وهي جلدة دونه، ثم الجوى: وهو الهوى الباطن، ثم التدليه: وهو ذهاب العقل من الهوى، ثم الهيوم: وهو أنْ يذهب على وجهه لا يستقر، وذلك لغلبة الهوى عليه، ومنه رجل هائم)[1].

الشعر العربي، أذكره هنا لعذوبته وسلاسته:

وأجهشتُ للتَّوباد حين رأيته ... وكبَّرْت للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لمّا رأيته ... ونادى بأعلى صوته دعاني
فقلت له: أين الذين عهدتهم ... حواليك في خصبٍ وطيبِ زمان
فقال: مَضَوا واستودعوني بلادهم ... ومَنْ ذا الذي يبقَى مع الحَدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غداً ... فراقك والحيان مؤتلفان
سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمة ... وسحّاً وتسجاماً إلى هملان

ينظر: ديوان مجنون ليلى ص٢١٢-٢١٣، ١٤١٤-١٩٩٤، دار صادر، بيروت شرح: عدنان زكي درويش.

(١) تاريخ آداب العرب تأليف: مصطفى صادق الرافعي ١/ ٢٣٢، ضبطه وصححه: محمد سعيد

فهل في لغات الدنيا لغة فيها من السعة والغنى بالثروة اللغوية ما في لغة القرآن، فضلاً عمّا فيها من (المجاز) و(الكناية) و(الاستعارة) التي تضفي على الكلام جمالاً على جمال؟!

لـغـة بـفـضـل جمـالهـا وجـلالهـا شهدتْ شواهد محكم الفرقان

لـغـة اذا ادركـــتَ سرَّ بيانها أدركـتَ معنى السحر في الأجفان

ولابد لنا أن نشير هنا الى أن هذه اللغة لم تصلنا إلا بعد جهد جهيد لما بذله علماء اللغة، وذاقوا ما ذاقوا من تعب ونصب وهم يتنقلون بين قبائل عربية، عرفت بفصاحتها اللغوية وبخاصة قبائل شبه جزيرة العرب ليأخذوا عنها اللغة. أما القبائل العربية التي اختلطت بغير العرب، فكان علماء اللغة لا يأخذون منها شيئاً، حتى وصلت لنا هذه اللغة التي نفاخر بها الدنيا.

فضـل لغـة القرآن:

حازت اللغة العربية الأفضلية على اللغات بتفضيل الله لها؛ إذ أنزل بها قرآنه، فقال مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥. فإن هذا الوصف من الله لكتابه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ يدل على البيان: وهو أبلغ ما يوصف به الكلام؛ لأن الكلام المبين يؤدي المراد منه.

ويفصح احمد بن فارس بن زكريا عن هذا المعنى، بعد ذكر قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ الرحمن: ٣ – ٤. فيقول:(فلما خصَّ –جل جلاله– اللسان العربي بالبيان، عُلِمَ أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه)[1].

العريان ١٣٧٣–١٩٥٣، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

(١) الصاحبي لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ص١٦.

ويكفي لغتنا شرفاً وفضلاً -ايضاً- أن الله عز وجل أنزل بها آخر كتبه وتكفَّل بحفظه من بين الكتب: فلا يدخله شيء من التحريف او التبديل او الزيادة فيه او النقصان منه؛ لتظل (لغتنا) حية أبد الآباد، لم يؤثر بها تطاول القرون وتقدم الدهور، وصارت العربية في العالم الإسلامي متبوعة، وسواها من اللغات تابعة لها، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

(إذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض؛ فلابد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض، وأن يكون الفضل باللسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان: مَنْ لسانه لسان النبي ﷺ، ولا يجوز -والله أعلم- أن يكون أهل لسانه اتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه)[1].

وأفصح لهجات العرب لهجة قريش التي بها نزل القرآن الكريم، ذلك لأن العرب في الجاهلية كانت تَفِدُ الى مكة للحج، وكانت قريش تسمع لهجاتهم هنا وهناك، فما استحسنوه من تلك اللهجات تكلموا بها؛ فصارت لهجة قريش أفصح لهجات العرب، وأغناها، وأعذبها، وأرقها[2].

ويذكر (فيليب دي طرازي) أن المسلمين توحدوا بفضل القرآن، ولولاه لما انتشرت العربية الفصحى فيقول:

(أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها، فقد جمع شتات العرب، ومن المقرر أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة الفصحى في الخافقين، ولولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها

(١) الرسالة، للإمام الشافعي ص٤٦ رقم ١٥٢، ١٥٣ بتحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، الطبعة الأولى: ١٣٥٨-١٩٤٠، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٢) ينظر: الصاحبي لاحمد بن فارس ص٣٢-٣٣، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ١/ ٢٢١، بتحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم وزميله، طبعة القاهرة ١٩٥٨.

والتعامل بها، ولولا القرآن لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب...)[1].

القرآن الكريم حفظ اللغة العربية من الضياع:

جاءت اللغة العربية تحمل في طياتها أعظم كتاب عرفه الوجود، وكان له الفضل الكبير على العربية؛ إذ قام بحملها الى الأجيال والحفاظ عليها، وجمع العرب على لهجة واحدة، بعد تلك اللهجات الكثيرة المتباينة؛ فقد كان لكل قبيلة لهجتها.

وهكذا ظلت العربية على حيويتها، لم يصبها شيء من الضعف والوهن، وظل الناس يتحدثون بها وينظمون الشعر ويكتبون، فلم تندرس كما اندرست لغات كثيرة، فقد ظلت (منذ عهد الكنعانيين، وحتى جرهم، ومن تكلّم العربية لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ومن تبعهم بها حتى الآن، ظلت أقدم وأعرق وأغزر، وذلك بفضل القرآن[2]).

وننظر الى المسلمين قديماً وحديثاً فنرى كوارث كثيرة حلت بهم وكان لها وقعها في تخلف المسلمين مدة من الزمن وزاد من وقعها السيء وصول عناصر أعجمية الى سدة الحكم، ظلت أحقاباً تتحكم في رقاب الناس، وهي تجهل العربية أولاً، ولا يرتاح قسم منها للعرب بعد ذلك! وهكذا تعرضت لغتنا لنكبات ونكبات، وأصابها الضعف والهوان مدة من الزمن.

ولو أن ما أصاب أمتنا أصاب أمة أخرى لما بقي شيء من لغتها، لكن الله عز وجل هو الذي حفظ هذه اللغة، وحماها من الضياع حين تكفَّل بحفظ القرآن فقال تعالى: ﴿ إِنَّا

(١) الفصحى لغة القرآن، تأليف: أنور الجندي ص٣٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة.

(٢) من علوم القرآن تأليف: الدكتور فؤاد علي رضا ص١١٧، الطبعة الأولى ١٤٠٢-١٩٨٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ومكتبة إقرأ - بيروت.

﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ الحجر: ٩.

وهكذا، فإن للقرآن الكريم الفضل الأكبر في حفظ اللغة العربية من الضياع.

الصلة بين الإسلام والعربية:

يستطيع المتأمل بهذا الدين أن يرى قدراً من التلازم بين الإسلام واللغة العربية، ويرى ظاهرة طبيعية على مدار التاريخ وهي: انه كلما كانت العربية متألقة في سموّها كان الإسلام في عزة ومنعة، وكلما كان الإسلام كذلك، كانت العربية محلقة في سماء العظمة: يقدم الناس على الإهتمام بها هنا وهناك، والعكس صحيح؛ فإن ضعف المسلمين يتبعه ضعف اللغة العربية، وضعف العربية يتبعه ضعف المسلمين. وهكذا نجد الصلة بين الإسلام والعربية على مدار التاريخ بين مد وجزر: بين مدّ الإسلام وضعفه، وقوة العربية وضعفها؛ إذ قوة أحدهما قوة للآخر، وبالعكس.

واذا كان المؤرخون المسلمون قد نصوا على ذلك، فإن هذه الحقيقة لم تخف عن المستشرقين، فقد أشاروا اليها بكل وضوح. فهذا المستشرق الفرنسي المشهور (غودفروا دومومبين)، كتب في الفصل الأول من كتابه (النظم الإسلامية) ما يأتي:

(نستطيع أن نقول: إن نظم أي شعب إسلامي تكون اكثر اسلامية كلما اقتربت لغته من لغة القرآن، فبأتخاذ هذا المبدأ نستطيع أن نضع في الصفوف الأولى من المسلمين، أولئك الناطقين باللغة العربية، وإن كان منهم مَنْ تكلم بالعربية بعد الفتح الإسلامي: كحال سكان سوريا والعراق ومصر والمغرب)[1].

إن الصلة الوثيقة بين العربية والإسلام حقيقة لا يماري فيها دارس منصف لها، وكيف يماري فيها من يعلم أن الدنيا لم تعرف إسلاماً بلا قرآن، ولا قرآناً بغير العربية؟! وما مثل

(١) الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية للدكتور محمود الخالدي ١/ ٣٢٠-٣٢١ الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣، دار الفكر، عمان، نقلاً عن (النظم الإسلامية) للمستشرق الفرنسي (غودفروا دومومبين)، دار النشر للجامعيين ١٩٦١، بيروت.

فصل اللغة العربية عن الإسلام إلا كمثل (فصل الدين عن الدولة التي ظهرت لأول وهلة في العالم الإسلامي بصورة ضئيلة، ولم تلبث أن صارت أمراً هائلاً مثيراً لكثير من الشجون، كشرٍّ يبدأ صغيراً، فلا يلبث مع هبوب الرياح أن يصير سعيراً يتلظى)[1].

إنتشار الإسلام كان السبب في انتشار اللغة العربية:

ويقرر الأستاذ مصطفى الزرقا رحمه الله: أن انتشار الإسلام كان هو السبب في انتشار اللغة العربية فيقول:

(ليست العربية وكونها لغة القرآن سبباً لانتشار الإسلام، بل الصحيح هو العكس: أي أن انتشار الإسلام هو السبب الأعظم لانتشار العربية)[2].

وما قرره العلامة الزرقا هو الصحيح، فإن اللغة العربية ظلت مدة ليست بالقصيرة من الزمن حبيسةً في جزيرة العرب، فلما أذن الله ببعثة النبي ﷺ بالرسالة الخالدة، وانطلق المسلمون يفتحون الأقطار والأمصار.. عند ذاك، تخطت اللغة العربية جزيرة العرب، حتى صارت اللغة الرسمية فيما بين السند شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً، ووصلت الى جنوبي ايطاليا، ولولا هذا الدين والقرآن الحكيم، لظلت اللغة العربية حبيسة في الصحراء.

حُكم تعلم اللغة العربية:

اللغة العربية علامة مميزة للمسلمين، بل هي شعار الإسلام وأهله، وتعلم العربية بما

(١) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا للدكتور يوسف القرضاوي ص١٠٨، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الشروق، القاهرة، نقلاً عن كتاب (مشاكل التعليم العربي في نيجيريا) تأليف: آدم عبدالله الألودي تحت عنوان (فصل اللغة العربية عن الإسلام).
(٢) الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ١/ ٣٢١.

يصير به الإنسان مسلماً، ويؤدي بها عبادته فرض على كل مسلم ومسلمة، وهذا ما قرره كثير من علماء الصحابة ومن جاء بعدهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(تعلموا العربية فإنها من دينكم)[1].

وكتب رضي الله عنه:

(تعلموا العربية وتفقهوا في الدين)[2].

وكتب ايضاً الى واليه أبي موسى الأشعري كتاباً جاء فيه:

(أما بعد، فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية)[3].

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

(فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له...)[4].

وقال الإمام ابن تيمية:

(فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله)[5].

وذهب ابن تيمية كما ذهب الإمام الشافعي الى أن تعلم العربية فرض على كل مسلم ومسلمة فقال:

(وايضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٠٧، بتحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية.

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه ٢/ ٣١٥، رقم ٨٩، بتحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حُميد، الطبعة الثالثة ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار الصميعي، الرياض، السعودية.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣٤٢، رقم ٢٥٦٤٢، بتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) الرسالة للإمام الشافعي ص ٤٨-٤٩.

(٥) إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٠٣.

الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[1]).

ويدل على وجوب تعلم العربية، أن عدداً ليس بالقليل من العبادات، تتوقف صحة أدائها على معرفتها، ومن ذلك:

١ – تكبيرة الإحرام في الصلاة، فإنها لا تكون إلا بالعربية. وبهذا قال جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة، وهو رأي محمد بن الحسن الشيباني، وابي يوسف من الحنفية. وهكذا الأمر في التكبير في الصلاة والتسبيح والتشهد: فإن كبّر في الصلاة بالفارسية مع قدرته على تعلّم العربية بالتكبير بها لم تصح صلاته.

٢ – قراءة سورة الفاتحة: ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة الى وجوب قراءة سورة الفاتحة في الصلاة، واشترطوا أن تكون (الفاتحة) بالعربية. أما اذا لم يحسن الفاتحة بالعربية، وكان بإمكانه أن يتعلمها فيجب عليه ذلك، فإن لم يفعل مع قدرته على ذلك لم تصح صلاته؛ مستدلين بحديث النبي ﷺ:

(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)[2]. وغير ذلك.

٣ – تلاوة القرآن: القرآن الكريم لا يسمى قرآناً إلا بالعربية، أما الترجمات، فإنها ترجمات لمعاني القرآن، ولا يسمى قرآناً لأن القرآن الكريم لا يترجم الى أية لغة كانت، فلا تجوز تلاوته بغير العربية، سواء في الصلاة او في غيرها. قال الإمام النووي:

(لا تجوز قراءة القرآن بالعجمية، سواء أحسن العربية او لم يحسنها، وسواء أكان في الصلاة ام في غيرها، فإن قرأ بها في الصلاة لم تصح صلاته، هذا هو مذهبنا، ومذهب مالك واحمد، وداود، وابو بكر بن المنذر)[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٠٧.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصلاة باب: (ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب) ينظر: تحفة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي ٢/ ٦٨، رقم الحديث ٢٤٧.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ص٥٢، طبعة دار المعرفة بدمشق.

نستخلص مما تقدم أن تعلم العربية فرض واجب على كل مسلم ومسلمة، حتى يستطيع أن يؤدي قسماً من العبادات تأدية صحيحة.

شعوب آثرت لغة القرآن:

بعد أن أشرقت شمس الإسلام على الوجود، وكثرت الفتوحات الإسلامية، التقت لغة القرآن بغيرها من اللغات: كالفارسية والقبطية والبربرية... وكانت الغلبة للغة القرآن، حتى كادت تنقرض بعض تلك اللغات، وحلت لغة القرآن محلها، نجد ذلك واضحاً في العراق والشام ومصر... ونجد لغات اخرى قد انزوت كما في البربرية في شمال افريقية. يقول ابن خلدون:

(: هجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم، حتى رسخ ذلك لغةً في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخيلةً فيها وغريبة)[1] لقد تركت شعوب كثيرة لغتها واتخذت لغة القرآن لغة لها من غير أن تكره على التخلي عن لغتها بقوة القوانين الملزمة، وإنما كان ذلك بفضل القرآن الذي فتح قلوب الناس للعربية، وبالجمالية التي تملكها هذه اللغة بعد ذلك. لقد كان لتلك الشعوب لغاتها التي تعتز بها، وقد استعصت على الذوبان في لغات الأمم الغازية لها، ولكن لم يمض جيل او جيلان على دخول الإسلام تلك الديار، حتى رأينا تلك الشعوب قد هجرت لغاتها القومية، وأخذت بلغة القرآن التي أسرت قلوب الناس.

يقول العالم النيجيري المسلم (آدم عبد الله الآلودي) في رسالته الموسومة (مشاكل التعليم العربي في نيجيريا):

(ولقد انتشر اللسان العربي مع انتشار الإسلام، فطغت العربية على الرومية في الشام، وعلى الفارسية في العراق، وعلى القبطية في مصر، وعلى البربرية في شمال افريقية، ونزع

(١) المقدمة لإبن خلدون ص ٣٧٩، دار: إحياء التراث العربي، بيروت.

الإسلام لغتهم من خلال السنتهم، ولقنهم العربية فاستساغوها وأجادوها واستعربوا بها كما استعرب إسماعيل عليه السلام أول العرب المستعربة ... أما نظرية فصل اللغة العربية عن الإسلام، فمثلها كمثل نظرية فصل الدين عن الدولة التي ظهرتْ لأول وهلة في العالم الإسلامي بصورة ضئيلة، ولم تلبث أن صارت أمراً هائلاً، مثيراً لكثير من الشجون كشرٍّ يبدأ صغيراً، فلا يلبث مع هبوب الرياح أن يصير سعيراً يتلظى)[1].

غير العرب ولغة القرآن:

ولم يكن العرب وحدهم هم الذين اهتموا بلغة القرآن، بل نجد الكثير الكثير من غيرهم حملوا لواء هذه اللغة، وبرز منهم علماء خلّد التاريخ ذكرهم، ألفوا المؤلفات الكثيرة التي كانت ومازالت كذلك من أهم مصادر اللغة، يرجع اليها كل من يريد التفقه في اللغة، وإن ينسَ الناس شيئاً فلن ينسوا ما دبّجته أقلام (سيبويه) و(الزمخشري) و(السكاكي) و(عبد القاهر الجرجاني) و(الخوارزمي) و(ابن رشد) و(ابن فارس) و(ابن خالويه) و(الكسائي) و(الفراء) و(ابن جني) و(البيروني) وغيرهم... وقد بلغ من شدة حب (البيروني) للغة القرآن، أنه كان يفضل أن يشتم بالعربية على أن يمدح بالفارسية، وهو صاحب القول المشهور: (والله لأن أُهجى بالعربية أحبُّ إلي من أن أُمدح بالفارسية)[2].

ولم يكن (البيروني) وغيره كالذين مرَّ ذكرهم من العرب، وقد اهتموا بلغة القرآن وتعلمها وتعليمها؛ لأن ذلك بالنية الخالصة لله عبادة يتقرب بها المسلم الى الله تعالى، يقول الدكتور طه حسين:

(وما كاد العرب بعد الفتوح يدخلون في بلاد فارس ويستقرون فيها، حتى تعلَّم

(١) من أجل صحوة راشدة للدكتور يوسف القرضاوي ص١٠٨.

(٢) نحو وعي لغوي للدكتور مازن المبارك ص١٩، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩-١٩٧٩، بيروت.

الفرس هذه اللغة الجديدة، وغلبت على ألسنة كثير منهم، وما اكثر الفرس الذين شاركوا في إنشاء علوم اللغة العربية) وتدوينهاّ وما اكثر الفرس الذين استأثروا ببعض هذه العلوم، حتى أصبحوا كأنهم أصحابها! وكلنا يعلم -ايضاً- استئثار الفرس بتدوين علوم البلاغة العربية.

ويقول: ومع أن الفرس قد أحبوا لغتهم الفارسية، ونظموا فيها الشعر منذ أواسط القرن الرابع للهجرة، فقد ظلت اللغة العربية لغة العلم والفلسفة عندهم الى أواخر القرون الوسطى! وانظر الى كتب (ابن سينا) و(التفتازاني) و(السيد الجرجاني) و(الطوسي) وغيرهم، وكل هذا بفضل القرآن الكريم، فبفضله انتشر الإسلام)[1].

وهكذا الأمر في المؤلفات الكثيرة التي خطّ يراعها علماء الأكراد ومفكروهم، فقد كانت مؤلفاتهم بالعربية، لأنها لغة القرآن.

السلـف واللحـن:

المراد باللحن هنا: الخطأ في الإعراب، يقال: لحن القارئ في القراءة، ولحن المتكلم في الكلام. ويطلق اللحن في اصطلاح النحويين على الخطأ في إعراب الكلمة.

ولقد حرص السلف الصالح على المحافظة على اللغة في الحديث وفي الكتابة، وكانوا يتضايقون ممن يلحن في كلامه او في كتابته، ويعدون ذلك منقصة فيه. وقد روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن، فقال رسول الله ﷺ: (ارشدوا أخاكم)[2].

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه:

---

(١) من المقدمة التي كتبها الدكتور طه حسين لكتاب: القرآن الكريم واللغة العربية للشيخ احمد حسن الباقوري، طبعة دار المعارف.

(٢) رواه الحاكم في كتاب التفسير ٢/ ٤٧٧، حديث ٣٦٤٣، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

(لأن أقرأ فأسقِط أحبّ إليَّ من أن أقرأ فألحن..)[1].

وكتب كاتب لأبي موسى الأشعري كتاباً الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من أبو موسى...!)؛ فكتب عمر الى ابي موسى كتاباً جاء فيه: (إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطاً، واعزله عن عملك)[2].

وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يضرب ولده على اللحن[3].

وقال عبد الملك بن مروان:

(اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه..)[4].

ورأى ابو الأسود الدؤلي أعدالاً للتجار عليها مكتوب (لأبو فلان)، فقال: (سبحان الله! يلحنون ويربحون؟!)[5].

وهناك من السلف مَنْ كان يفضل أن يضرب بحجر على أن يسمع أحداً يلحن في كلامه، وقد نسب الى قائد أموي قوله:

(أحبُّ إليَّ أن يضربني الرجل بحجر على أن يسمعني لحناً)[6].

وسمع الأصمعي رجلاً يدعو ربه ويقول: يا ذو الجلال والإكرام؛ فقال له: ما اسمك؟ قال: ليث؛ فقال الأصمعي:

---

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢/ ٣٤١، ضبطه وصححه: فؤاد علي منصور الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٤١، علق عليه: رضوان محمد رضوان، ١٩٥٩، مطبعة السعادة، القاهرة.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٢٤١، حديث ٢٥٦٤١، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) الآداب الشرعية لمحمد بن مفلح المقدسي ٢/ ١٢٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام الطبعة الثانية ١٤١٧-١٩٩٦، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٥) أدب المجالسة لابن عبد البر ١/ ٦٢، تحقيق: سمير حلبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩-١٩٨٩، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

(٦) مجلة اليمامة، العدد ١٦٤٧، الصادر في ٢٢ من ذي الحجة ١٤٢١، من مقال للدكتور عبد الكريم اليافي.

يـنـاجـي ربـه بـالـلـحـن ليث لـذلـك إذ دعـاه لا يجـيـب[1]

إن ما ذكرناه من حرص سلفنا على سلامة اللغة وعدم اللحن فيها ليدل دلالة واضحة على غيرتهم الشديدة على لغة القرآن؛ لتظل مصونة عن اللحن والخطأ الذي يشوّه جمالها ويذهب ببهائها.

تأثير لغة القرآن في لغات العالم:

أثرت العربية الفصحى في أكثر لغات العالم فكان تأثيرها في نحو مائة من تلك اللغات، وبخاصة لغات اوربا وآسيا وافريقية، ولا يزال هذا التأثير باقياً الى يوم الناس هذا، ومن تلك اللغات التي تأثرت بالعربية: اللغة الاسبانية.

ويتجلى ذلك في المصطلحات والأسماء العربية التي لا تزال مستعملة بين الاسبانيين الى يوم الناس هذا: كأسماء المدن والأنهار والحيوانات والنباتات والحرف والألوان والأدوات المنزلية[2].

وهكذا ايضاً كان تأثير العربية باللغات الفرنسية والانكليزية والألمانية والهولندية والروسية والبولندية واللغات الصقلية والتركية والهندية.. وعلى سبيل المثال فإن في اللغات الهندية أكثر من ٦٥٠٠ كلمة عربية رائجة.

وذكر الأستاذ كليم الدين احمد في كتابه (تأثيرات اللغات الاجنبية على الكلمات الهندية) أن اللغة الأردية قد استعارت ٥٠٪ من مجموع الكلمات الرائجة هناك[3].

أما اللغة الفارسية، فقد دخلها كثير من المصطلحات العربية، بل حتى العبارات الكاملة ايضاً في مؤلفاتهم العلمية والأدبية. يقول الأستاذ الدكتور احمد محمد الحوفي:

(إن الكلمات العربية في بعض كتبهم الفارسية من خمسين الى ثمانين في كل مائة، وحتى

(١) الأمالي لأبي علي القالي ٣/ ٣٢، طبع سنة ١٣٩٨-١٩٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٢) غرائب اللغة تأليف رفائيل نخلة اليسوعي، مطبعة الإحسان في حلب.
(٣) ينظر: الإسلام وقصة العامية للمؤلف ص٣٧، مطبعة الجمهور في الموصل ١٣٩٦-١٩٧٦.

انهم اقتبسوا كثيراً من العبارات الكاملة، سواء أكانت من القرآن الكريم والحديث الشريف، أم من الأمثال والحكم العربية. وهم في رجعتهم الى لغتهم لم ينكروا أن الأدب العربي هو المثال الذي يحتذونه، وأنه معينهم الفياض الذي ينهلون منه، ولم يتوانوا في نقل الكثير من الكتب العربية، ورسائل البلغاء الى لغتهم، وفي النصح بدراستها وتذوقها واحتذائها...)[1].

من ميزات لغة القرآن:

ومما تمتاز به لغة القرآن: أنّ من نشأ على تعلّم اللغة العربية، وتفتّق لسانه في سنّ الحداثة والصبا عليها، يستطيع النطق بأية لغة كانت من اللغات، أما اصحاب اللغات الأخرى الذين يريدون النطق بالعربية، فقلما يستطيعون النطق بها ما لم تظهر اللكنة في كلامهم؛ ذلك لأن لغة القرآن فيها حروف تفتقدها اللغات الأخرى مثل: الضاد، والظاء، والعين، والقاف، والحاء، والطاء.

الكلام بغير العربية في بلاد العرب:

سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يتكلم بالفارسية وهو يطوف حول الكعبة؛ فأخذ بعضديه وقال له: (ابتغ الى العربية سبيلاً)[2].

ولقد كره قسم من أئمتنا الكلام بغير العربية في بلاد العرب حتى في المعاملات: وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، فقد نص على ذلك الأئمة: مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وهو ما رجّحه ان تيمية فقال: (مازال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى

(١) مع القرآن الكريم تأليف الدكتور احمد محمد الحوفي ٢/ ١٠-١١، دار نهضة مصر، القاهرة.
(٢) الإسلام والحضارة الغربية تأليف الدكتور: محمد محمد حسين ص٢٣١، الطبعة التاسعة ١٤١٣-١٩٩٣، مطبعة المدني، القاهرة.

في المعاملات: وهو التكلم بغير العربية إلاَّ لحاجة)[1].

وقال ايضاً: (وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، او للأمراء، او لأهل الديوان، او لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه؛ فإنه من التشبه بالأعاجم...)[2].

بين العربية واللغات الاخرى:

ونحن اذ نتحدث في لغة القرآن وفضلها، لا نريد أن ننكر مكانة قسم من اللغات، ذلك لأنها قد تكون لغات حيّة يعتزّ بها أصحابها، وقد يكون قد كتب في تلك اللغات كتابهم المقدس الذي يجلونه ويحلونه في نفوسهم المحل الأرفع، لكننا ما رأينا بين لغات تلك الأقوام وكتبهم الدينية تلك الرابطة القوية المتينة كما نجدها بين العربية والقرآن. لقد نزل القرآن بلغة العرب: وهي اللغة الفريدة بين اللغات في إعجازها اللغوي، وبهذا امتازت العربية عن سائر اللغات.

عربية القرآن تربي المسلم على القوة والشجاعة:

ربما يعجب كثير من الناس اليوم حين نقول: أنّ تعلّم الطفل لتلاوة القرآن الكريم منذ الصغر يغرس في قلبه الإيمان العميق، ويربي فيه القوة والشجاعة ومتانة الخُلُق، لكنها الحقيقة التي توصَّل اليها غير المسلمين فضلاً عن المسلمين.

فهناك دراسات أجراها عدد من مفكري الغرب عن أسباب قوة وصلابة الإنسان العربي، وتوصلوا من خلالها الى أن تعليم الطفل العربي لتلاوة القرآن الكريم كان

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٢/ ٢٥٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٠٦، بتحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

السرّ في ذلك، فقال الكاتب E.H. Jansen في كتابه (الإسلام المقاتل) ما يأتي:

(إن انكلترا وفرنسا قد أجرتا بحوثاً عن أسباب قوة وصلابة الإنسان العربي، وتمكنه من فتح البلاد المحيطة به من الهند الى تخوم الصين... فوجدتا أن السرَّ في ذلك كان في طريقة تعليم الطفل العربي، وكيف أنه بدأ قبل الخامسة بحفظ القرآن وختمه، وهو الكتاب الجامع لأفصح التراكيب اللغوية. وأجمل الصيغ البلاغية التي تنطبع في الذاكرة فلا تزول... كما يعطيه القرآن طاقة نضالية وصلابة خلقية، وزخماً إيمانياً، وصلة بالغيب، لا تتخلى عنه طوال عمره، فهو يشعر دائماً أنه ليس وحده، وإنما يوقن أن الله معه...)[1].

الصحابة ومنهجهم في التفسير عن طريق اللغة والشعر:

كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يرجعون في تفسير كتاب الله الى لغتهم التي نزل بها القرآن. وخير من نُقل عنه هذا المنهج في التفسير: ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فقد كان يرجع الى اللغة في تفسير آيات القرآن، وقصته مع نافع بن الأزرق معروفة مشهورة، فقد سأل ابن الأزرق ابن عباس عن تفسير مائة وثمانين مسألة ذكرها السيوطي في الإتقان[2]، فأجابه عنها ابن عباس، وكلما أجابه عن معنى لفظ من ألفاظ القرآن سأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ فيجيبه بما قالته العرب.

ومما قاله ابن عباس بهذا الشأن:

(الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا الى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه)[3].

وقال: (اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان

---

(١) مقدمة للاستاذ عمر عبيد حسنة، قدّم بها كتاب الاستاذ الدكتور طالب عبد الرحمن الموسوم (نحو تقويم جديد للكتابة العربية) ص٣٨، وهو من سلسلة كتاب الأمة، العدد ٦٩، قطر.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٦٨-١٠٥، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية.

(٣) الإتقان ٢/ ٦٧.

العرب)[1].

ولم يكن هذا منهج ابن عباس وحده، بل هو منهج الصحابة.

فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف أمام مفردة من مفردات القرآن لا يدري ما معناها هي لفظ (تَخَوُّف) من قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ النحل: ٤٧، فيفسر له ذلك رجل من (هُذَيل) قائلاً: التخوّف عندنا: التنقص، واستشهد بقول شاعرهم ابي كبير الهذلي يصف ناقته:

تخـوّف الـرحـل منا تامكاً قـرداً كما تخـوَّفَ عـود النبعةِ السَّفَنُ

فقال عمر: (أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم؛ فإن فيه تفسير كتابكم)[2].

اللغة العربية وتفسير القرآن

علم التفسير من أشرف العلوم؛ لأنه يقوم بتبيان معاني أفضل كتاب في هذا الوجود؛ لذلك نجد المسلمين قد اهتموا به اهتماماً بالغاً، وعُنوا به منذ فجر الإسلام الأول. ولا يستطيع أحد أن يُفسر كتاب الله ما لم يكن ملمّاً بعلوم اللغة العربية بإشتقاقها وتصريفها وأصول كلماتها، ومطلعاً على المعاجم اللغوية، وعلمي النحو والصرف؛ لأن الكلام يتغير معناه بتغير الإعراب أما البلاغة العربية بفنونها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، فلابد لمن يريد الإقدام على تفسير القرآن الكريم، أن يكون له اطلاع واسع على موضوعاتها؛ ذلك لأن الله عز وجل نزَّل القرآن ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾، وجاء بأساليبه البيانية التي أعجزت أقحاح العرب عن محاكاته.

ونقرأ عن الشروط التي ذكرها العلماء في كل من يريد تفسير كتاب الله، فنجدها

---

(١) الإتقان ٢/ ٦٧.

(٢) الموافقات في اصول الشريعة للشاطبي ٢/ ٦٧ شرحه وخرج احاديثه فضيلة الشيخ عبدالله دراز. الطبعة الثانية ١٤٢٤-٢٠٠٣. دار الكتب العلمية. بيروت.

كثيرة، وقد أوصلها السيوطي الى خمسة عشر علماً فقال: (يجوز تفسيره (أي القرآن) لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسِّر إليها وهي خمسة عشر علماً:

أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع...

الثاني: النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف بإختلاف الإعراب؛ فلابدَّ من اعتباره...

الثالث: التصريف؛ لأنَّ به تعرف الأبنية والصيغ... قال الزمخشري: من بدع التفاسير قول مَنْ قال: إنَّ الإمام في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾الإسراء: ٧١، جمع (أُم)، وان الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف؛ فإن (أماً) لا تجمع على (إمام)...)[٣].

وقال الاصمعي:

(تعلموا النحو؛ فإن بني اسرائيل كفروا بكلمة، قال الله عز وجل: يا عيسى انت نبيّ وانا وَلَّدتُك -بتشديد اللام- معناها: اوجدتك وخلقتك، فخففوها فصار كفراً..)[٤].

ونقرأ عن السلف الصالح، فنراهم يتشددون في وجوب معرفة علوم اللغة للمفسر، حتى قال الإمام مالك:

(لا أوتى برجل يفسِّر كتابَ الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً)[٥].

وليس الإمام مالك هو وحده الذي اشترط في مفسِّر القرآن أن يكون عالماً بلغة العرب، فإنّ من تقدمه من التابعين قالوا بذلك. ولا يخفى أن لغة العرب -آنذاك- كانت في عصرها المزدهر، فقال مجاهد:

(لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[٦].

---

(٣) الإتقان في علوم القرآن تأليف: جلال الدين السيوطي ٤/ ٢١٣-٢١٤.

(٤) معجم الأدباء تأليف: ياقوت الحموي ١/ ٧١-٧٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٠، دار الفكر، بيروت.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٣٦٨، خرّج احاديثه وعلّق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٦٨.

وهكذا نجد العلماء قد نصّوا على أن تفسير القرآن لا يكون إلا بمعرفة علوم اللغة العربية، فقال الشاطبي: (من أراد تفهم القرآن، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل الى تطلب فهمه من غير هذه الجهة)[1].

❊ ❊ ❊

(١) الموافقات في اصول الشريعة للشاطبي ٢/ ٦٤، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، القاهرة.

قالوا في لغة العرب

لا يستطيع أن يقدِّر اللغة العربية حق قدرها إلا من درسها عن كثب دراسة حبٍ لها، وبَذَل في طلبها من عمره سنوات وسنوات، وتحمل من التعب والنصب ألواناً حتى صار إماماً من أئمتها، واطلع على شيء من أسرارها.. هؤلاء هم الذين يعتدّ بشهاداتهم ويؤخذ بأقوالهم. وهذه نماذج قليلة فيما قاله أئمة العربية في لغة القرآن:

١ - قال ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي:

(مَنْ أحبَّ الله تعالى أحبَّ رسوله محمداً ﷺ، ومن أحبَّ الرسول العربي أحب العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العرب والعجم، ومن أحبَّ العربية عُني بها، وثابر عليها وصرف همته إليها، ومَنْ هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد ان محمداً ﷺ خير الرسل؛ والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين... ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة القضية في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوّة الذين هما عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره...)[1].

(١) فقه اللغة لأبي منصور عبد الملك الثعالبي ص٢٥-٢٦، تحقيق الدكتور: جمال طلبة، الطبعة الرابعة ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ - قال الإمام الشافعي[١]:

(لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها الفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها منْ يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه: لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء)[٢].

٣ - وقال عالم اللغة ابن جني:

(إنا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمي، وقد تدرّب قبل استعرابه عن حال اللغتين، فلا يجمع بينهما، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك؛ لبعده في نفسه، وتقدم لطف العربية في رأيه وحسّه. سألت غير مرة أبا علي (أي الفارسي) عن ذلك، فكان جوابه عنه نحو ما حكيته)[٣].

٤ - وقال ابن سنان الخفاجي:

(فأما ما نحن بصدده من ذكر اللغة العربية، فلا خفاء بميزاتها عن سائر اللغات وفضلها. أما السعة، فالأمر فيها واضح، ومن تتبَّع جميع اللغات لم يجد فيها -على ما سمعته- لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الأسماء للمسمى الواحد... وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل اليها يبين ذلك، فليس كلام

---

(١) اذا كان الإمام الشافعي قد عرف بالفقه، وكان صاحب مذهب من المذاهب المتبوعة فقد كان -في الوقت نفسه- عالماً من علماء اللغة، ويكفيه أن الأصمعي اللغوي المعروف قرأ عليه أشعار الهذليين وأثنى عليه.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ص٤٢.

(٣) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ١/ ٢٤٣، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية، مطبعة دار الهدى، بيروت.

ينقل الى لغة العرب إلا ويجيء الثاني أخصر من الأول، مع سلامة المعاني، وبقائها على حالها، وهذه -بلاشك- فضيلة مشهورة، وميزة كثيرة، لأن الغرض في الكلام ووضع اللغات بيان المعاني وكشفها، فإذا كانت لغة تفصح عن المقصود، وتظهره مع الاختصار والاقتصار، فهي أولى بالاستعمال، وأفضل مما يحتاج فيه الى الإسهاب والإطالة...)[1].

٥ - وقال ابن الاثير:

(وحضر عندي في بعض الأيام رجل من اليهود، وكنت إذ ذاك بالديار المصرية، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد؛ لمكان علمه في دينهم وغيره، وكان -لعمري- كذلك، فجرى ذكر اللغات، وان اللغة العربية هي سيدة اللغات، وإنها أشرفهنَّ مكاناً، واحسنهنَّ وضعاً؛ فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك، وقد جاءت آخراً فنفت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحسن؟ ثم إن واضعها تصرَّف في جميع اللغات السالفة، فاختصر ما اختصر، وخفَّف ما خفَّف، فمن ذلك اسم الجمل؛ فإنه عندنا في اللسان العبراني (كوميل) مما لاً على وزن فوعيل؛ فجاء واضع اللغة العربية، وحذف منها الثقيل المستبشع، وقال: جمل؛ فصار خفيفاً حسناً، وكذلك فعل في كذا وكذا، وذكر اشياء كثيرة. ولقد صدق في الذي ذكره، وهو كلام عالم به)[2].

٦ - وقال الفـرّاء:

(وجدنا للغة العرب فضلاً على لغات جميع الأمم؛ اختصاصاً من الله تعالى، وكرامة اكرمهم بها. ومن خصائصها: أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من

(١) سّر الفصاحة لمحمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ص٤٥-٤٨، تحقيق: علي فودة، الطبعة الأولى ١٣٥٠-١٩٣٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) المثل السائر لابن الأثير ١/ ١٩٣، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبع سنة ١٩٩٥، المكتبة العصرية، بيروت.

اللغات. ومن الإيجاز الواقع فيها أن الضرب كلمة واحدة فتوسعوا فيها، فقالوا للضرب في الوجه: لطم، وفي القفا: صفع، وفي الرأس اذا أدمي: شجّ، فكان قولهم لطم اوجز من ضرب على وجهه)[1].

٧ - وقال ابو جعفر النحّاس في كتاب (صناعة الكتّاب):

(انقادت اللغات كلها للغة العرب، وهي اللغة التامة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص منها شيء من الحروف فيشينها نقصانه، ولم يزد فيها شيء فيعيبها زيادته، وإن كان لها فروع أخرى من الحروف فهي راجعة الى الحروف الأصلية، وسائر اللغات فيها حروف مولَّدة، وينقص عنها حروف أصلية كاللغة الفارسية: تجد فيها زيادة ونقصاناً، وكذلك يوجد فيها من الأسماء ما لا يوجد في الفارسية وغيرها: كالحق والباطل، والصواب والخطأ، والحلال والحرام، فلا ينطق به أهل تلك اللغة إلا عربياً)[2].

٨- وقال ابو عُبيد:

(للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم: كعلامة إدخالهم الألف واللام في أول الاسم، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه، مع نقلهم كل ما احتاجوا اليه من كلام العجم الى كلامهم، فقد نَقِلَ ما قالت حكماء العجم والفلاسفة الى العربية، ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القرآن الى لغته لكمال لغة العرب. على أن الكثير من الناس حاولوا ذلك، فعسر عليهم نقله، وتعذرت عليهم ترجمته، بل لم يصلوا الى ترجمة البسملة إلاَّ بنقل بعيد)[3].

---

(١) المسارعة الى قيد أوابد المطالعة تأليف: جميل بن مصطفى بك العظم ص٤٤، تحقيق وتعليق رمزي سعد الدين دمشقية، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

(٢) المسارعة ص٤٤-٤٥.

(٣) المسارعة ص٤٥.

٩ - قـال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ **يوسف: ٢.**

(وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أُنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسِفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدِئ إنزاله في أشرف شهور السنة: وهو رمضان؛ فكمل من كل الوجوه)[١].

١٠ - وقال مصطفى صادق الرافعي:

(والعربية تعتبر أحكم اللغات نظاماً في أوضاع المعاني وسياستها بالألفاظ، وهي من هذا القبيل أعظمها ثروة، وأبلغها من حقيقة التمدن، بحيث لا تدانيها في ذلك لغة أخرى كائنة ما كانت. فالعرب لم يدعوا معنىً من معاني الطبيعية التي تتعلق بالحياة الروحية او البدنية مما تهيأ لهم إلا رتبوا أجزاءه، وأبانوا عن صفاته بألفاظ متباينة، تعيّن تلك الأجزاء والصفات على مقاديرها)[٢].

١١ -و قال المطران يوسف داؤد الموصلي:

(من خواص اللغة العربية: أنها اقرب سائر لغات الدنيا الى قواعد المنطق، بحيث أن عباراتها سلسة طبيعية، يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبِّر عمّا يريده من دون تصنّع

(١) تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كثير للإمام اسماعيل بن كثير ٣/ ٥٦٨-٥٦٩، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الثانية ١٤٢٣-٢٠٠٢، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) تاريخ آداب العرب تأليف: مصطفى صادق الرافعي ١/ ٢٣٢، ضبطه وصححه: محمد سعيد العريان، الطبعة الثالثة ١٣٧٣-١٩٥٣، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

وتكلف باتباع ما يدله عليه القانون الطبيعي، وهذه الخاصية إن كانت اللغات السامية تشترك مع العربية في وجهٍ من الوجوه، فقلما نجدها في اللغات المسماة الهندية الجرمانية، ولاسيّما الافرنجية منها)[1].

١٢ - وقال الدكتور عبد الوهاب عزام:

(العربية لغة كاملة محببة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثّل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير، ونبضات القلوب، ونبرات الحياة)[2].

١٣ - وقال جار الله الزمخشري:

(والله أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن انفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي الى لفيف الشعوبية وانحاز)[3].

١٤ - وقال محمد بن احمد البيروني:

(الله لأن أهجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أمدحَ بالفارسية)[4].

اللغة العربية والمنصفون من المستشرقين

دأب اكثر المستشرقين الى الحط من مقومات أمتنا، ومراكز القوة فيها وكانت لغتنا عرضةً

(١) القياس في اللغة للشيخ: محمد الخضر حسين ص١٨.
(٢) العربية بين التغريب والتهويد للدكتور: فهد خليل زايد ص٢٥، دار يافا العلمية، الاردن.
(٣) المفصل للزمخشري ١/ ١٧، تحقيق: علي بو ملحم، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال، بيروت.
(٤) نحو وعي لغوي للدكتور مازن المبارك ص١٩، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩-١٩٧٩.

لذلك الهجوم الظالم الغاشم منهم؛ لعلمهم أن اللغة العربية تبعث في الأمة عوامل النهوض اذا كَبَتْ، والقوة اذا ضعفتْ؛ وقد كان من أهداف اكثر المستشرقين (التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي؛ لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا)[1] ومع ذلك، فهناك من المستشرقين من لم يستطع إلا أن يصرح باعجابه باللغة العربية، معترفاً بأنها تتسم بقمة السلاسة، وقد جاءت غنية بمفرداتها، ولا تحتاج الى أيّ تعديل كان، بعد أن درس العربية عن كثب واعجب بها أيّما اعجاب. وهذه شهادات لعدد من المستشرقين في اللغة العربية:

١ - قال (ارنست رينان):

(من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغات القوية، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى، عند أمةٍ من الرحّل: تلك التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم عُلِمَتْ ظهرت لنا في حلل الكمال، الى درجة أنها لم تتغير أي تغير يُذكر...)[2].

٢ - (سيديو):

تحدّث المستشرق الفرنسي (سيديو) عن فضل القرآن الكريم في محافظته على اللغة العربية وصفائها، وذكر أن محاولات إفساد جوهر العربية الفصحى هو هجوم على الإسلام يتخفى وراء عبارات كاذبة مضللة، فقال:

(إنَّ اللغة العربية حافظت على وجودها وصفائها بفضل القرآن. ومن ثَمَّ فإن كل هذه

(١) الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم) تأليف الدكتور مصطفى السباعي ص٢٧، الطبعة الأولى لدار السلام ١٩٩٨-١٤١٨، دار السلام، القاهرة.

(٢) دراسات في اللغة العربية وتاريخها تأليف الشيخ محمد الخضر حسين ص١٩.

المحاولات لإفساد جوهرها هي بمثابة هجوم على الإسلام، يتخفى وراء عبارات كاذبة مضللة...)[1].

٣ - مرجليوث:

وعلى الرغم من محاربة المستشرق الانكليزي (مرجليوث) الذي أوفدته وزارة المستعمرات الانكليزية من لندن الى دمشق والقدس وطهران قبيل الحرب العالمية الثانية، وجهوده الجهيدة في محاربة الحروف العربية، ودعوته الى الكتابة -بالحروف اللاتينية- أقول على الرغم من ذلك، فقد كان على معرفة بالمكانة العالية التي تتبوأها هذه اللغة، فقال: (إن اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وإنها إحدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاءاً لم يحصل عليه غيرها: (الانكليزية والاسبانية)، وهي تخالف اختيها بأن زمان حدوثها معروف، ولا يزيد سنهما على قرون معدودة، أما اللغة العربية، فابتداؤها أقدم من كل تاريخ)[2].

٤ - قال المستشرق (وليم ورل):

(ان اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام أي لغة من اللغات التي احتكّتْ بها، وانها ستحافظ على كيانها في المستقبل كما فعلت في الماضي،وإنَّ لها ليناً ومرونة يمكنانها من التكيف على وفق مقتضيات العصر. إن اللغات الاوربية خلال ٢٥٠ سنة، لم تستطع السيطرة على العربية، او إضعاف مكانها)[3].

---

(١) لغة القرآن تأليف الدكتور ابراهيم بن محمد ابو عباة ص٩، الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨، منشورات الجمعية العلمية السعودية للغة العربية.

(٢) معالم الأدب العربي المعاصر تأليف: أنور الجندي ص٨٣، الطبعة الأولى ١٩٦٤، دار النشر للجامعيين، بيروت.

(٣) معالم الأدب العربي المعاصر ص٨٣.

٥ - جول فون:

كتب جول فون قصة خيالية، ملخصها: أن سياحاً قاموا باختراق طبقات الكرة الأرضية حتى وصلوا او اقتربوا من وسطها، ولّما أرادوا العودة الى الأرض، أرادوا أن يتركوا أثراً يدل على رحلتهم؛ فقاموا بالنقش على الصخر كتابة باللغة العربية. ولما سئل (جول فون) عن سبب اختياره اللغة العربية قال:

(إنها لغة المستقبل، ولاشك أنه يموت غيرها، وتبقى حيّة حتى يرفع القرآن نفسه)[١].

٦ - ريتشارد كوبتهيل:

والقول بأن العربية يكون لها مستقبل زاهر باهر، هو ما ذهب اليه المنصفون من المستشرقين. ويفصح عن هذه القضية المستشرق (ريتشارد كوبتهيل) فيقول:

(إنه لا يعقل أن تحل اللغة الانكليزية محل اللغة الفرنسية، او الانكليزية محل اللغة العربية، وإنَّ شعباً له آداب غنيّة منوعة كالآداب العربية، ولغة مرنة لينة ذات مادة تكاد لا تفنى، لا يخون ماضيه، ولا ينبذ إرثاً وصل بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده... لقد كان للعربية ماضٍ مجيد، وفي مذهبي أنه سيكون لها مستقبل باهر)[٢].

٧ - ويقول العالم الألماني (فريتاغ):

(اللغة العربية أغنى لغات العالم)[٣].

---

(١) دراسات في اللغة العربية وتاريخها للشيخ محمد الخضر حسين ص١٤.
(٢) معالم الأدب العربي المعاصر تأليف: أنور الجندي ص٨٣.
(٣) العربية بين التغريب والتهويد للدكتور فهد خليل زايد ص٢٥.

٨ - ويقول (وليم ورك):

(إن للعربية ليناً ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر)[١].

٩ - وقال المستشرق (جون .أ. هيوود) كبير اساتذة الدراسات العربية في جامعة (درهام) الانكليزية في كتابه (صناعة المعاجم في العربية):

(وكان لدى العرب معجم شامل هو (لسان العرب) -لابن منظور- كانت دونه دقةً وشمولاً معاجم سائر اللغات قبل القرن التاسع عشر)[٢].

١٠- وقال خبير المعاجم الاوربي hay-wood عن مكانة وأهمية المعاجم عند المسلمين:

(الحقيقة أن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز -سواء في الزمان او المكان- بالنسبة للعالم القديم والحديث، وبالنسبة للشرق والغرب)[٣].

ولابدّ لي أن أشير هنا الى أن إعجاب الناس بالعربية لم يكن مقتصراً على من يدين بالإسلام، بل اعجب بها غير المسلمين -ايضاً- كما رأينا في هذه الشهادات .

---

(١) المعجم العربي بين الماضي والحاضر للدكتور عدنان الخطيب ص٥، نقلًا عن كتاب (ماذا قدّم المسلمون للعالم) للدكتور راغب السرجاني ١/ ٣٩٠.

(٢) المعجم العربي بين الماضي والحاضر للدكتور عدنان الخطيب ص٥، نقلًا عن كتاب (ماذا قدّم المسلمون للعالم) للدكتور راغب السرجاني ١/ ٣٩٠.

(٣) البحث اللغوي عند العرب تأليف احمد مختار عمر ص٣٤٣، نقلًا عن كتاب: ماذا قدم المسلمون للعالم ١/ ٣٩٣.

لغـة القرآن في مواجهة التحديـات

المستعمرون ولغة القرآن:

واجهت لغة القرآن حملة عدوانية ظالمة غاشمة من العالم الغربي، فلم تكد أقدام المستعمرين تطأ أرض البلاد العربية والإسلامية، حتى قاموا بمحاربة اللغة العربية علانية ومن وراء ستار، بعد أن علموا الصلة الوثيقة بين العربية والإسلام؛ إذ القرآن الكريم نزل بلسانها؛ فصار إضعافها في أي بلد كان من البلاد يقطع الأجيال القابلة عن القرآن الكريم، وعن تراثنا وثقافتنا وحضارتنا، ويقطع الصلة بين المسلمين ودينهم. وإذا كانت المعارك الثقافية في أي بلد كان من البلاد تشتدّ في حين من الأحيان، فإنها كثيراً ما تخف بعد مدة من الزمن او تهزم إلا الهجوم على لغة القرآن، فقد ظلت الحرب عليها حامية الوطيس، وإذا هدأت في مدة من الزمن، فإن هدوءها لم يكن إلا استعداداً لحربها مرة اخرى بابتكار وسائل اكثر مكراً واسرع خدعة؛ ذلك لأن المحاربين لهذه اللغة يعلمون ان الانتصار فيها يغنيهم عن كثير من المعارك المستقبلية، وان نجاحهم في هذا يزيل من أمامهم حصناً حصيناً من حصون الإسلام، وقلعة عظيمة من قلاع الإيمان.

لقد كان العالم الغربي –وما زال كذلك– يشعر أن الخطر المستقبلي عليه يكمن في وحدة المسلمين، وان اللغة العربية عامل مهم من عوامل توحيد الأمة الإسلامية؛ لذلك اتجه تخطيطهم لمحاربة اللغة العربية؛ لئلا يتوحد المسلمون في المستقبل. يقول المستشرق والمبشر (لورانس براون):

(اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمةً له –ايضاً– أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير).

ويكمل حديثه فيقول:

(يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير)[1].

ولم يقف أمر محاربة لغة القرآن في البلاد العربية وحدها، بل حاربوها حتى في بلادهم، وقاموا بخطوات عملية في محاربة هذه اللغة، من ذلك: إلغاء التدريس باللغة العربية في بعض الجامعات الأمريكية، والاستعاضة عن العربية باللهجات العامية الشامية، والمصرية، والمغربية، والعراقية ... الخ.

ومن تلك الخطوات ما أقدمت عليها فرنسا في بلادها. فقد كان الطالب هناك يفسح له في امتحان البكالوريا (الثانوية) أن يختار لغة ثانية كالانكليزية والالمانية والاسبانية والعربية، وقد أسقطوا اللغة العربية هناك،واستعاضوا عنها بعدد من اللهجات العربية[2]. كل ذلك من أجل أن يظل المسلمون متفرقين، ليظلوا بلا وزن ولا تأثير.

ولقد كانت اللغة العربية -ومازالت كذلك- عاملاً مهماً من عوامل استعصاء المسلمين على الذوبان في بوتقة الثقافة الغربية. وقد أشار الى هذا كثير من المؤرخين من غير المسلمين فضلاً عن المسلمين، فقال المؤرخ الفرنسي (جاك بيرك):

(إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب: هي اللغة العربية الفصحى، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا. إن العربية الفصحى هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه العربية الفصحى عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية)[3].

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله للأستاذ جلال العالم ص٥٥، الطبعة الثانية ١٣٩٥-١٩٧٥، مطابع دار الأمل، بيروت.

(٢) لزيادة الاطلاع ينظر كتاب: اللغة والهوية في معركة الحضارة -العربية في خطر- وأصله محاضرة للدكتور محمد محمد داؤد. منشورةً تحت عنوان: اللغة العربية في الداخل الفلسطيني بين التمكين والارتقاء، ضمن منشورات المنتدى الفكري الثامن، مركز الدراسات المعاصرة ١٤٣٠-٢٠٠٩.

(٣) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي تأليف: أنور الجندي ص٣٦٢، الطبعة الأولى ١٩٧٩، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري.

ويرى (وليم جيفورد بلجراف): أن القرآن ومدينة مكة عاملان مهمان من عوامل عدم اندماج العربي في الحضارة الغربية، فمتى تواريا عن بلاد العرب، فإن العربي حينئذ يتدرج في الاندماج في الحضارة الغربية التي لم يحل دون هذا الإندماج إلا الرسول ﷺ وقرآنه، ولا يتوارى القرآن عن الوجود إلا إذا توارت لغته العربية الفصحى فيقول:

(متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه، ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته)[1].

وفي هذا المعنى ما قاله الحاكم الفرنسي في الجزائر، في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية. فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم)[2].

ولابدّ لي أن أشير هنا الى أن حرب المستعمرين للغة للقرآن بدأت منذ أن احتلت فرنسا مصر سنة ١٨٩٧، ويوم احتلت الجزائر سنة ١٨٣٠، ثم ما فعله الاستعمار الانكليزي والايطالي وغيرهما في البلاد التي احتلوها: فكتبوا الكتب، ودوّنوا الدواوين في اللهجات المحلية: المصرية والعراقية والسورية والتونسية والمراكشية..[3].

وهذه رؤوس أقلام فقط في مواقف الاستعمار الفرنسي والانكليزي واسرائيل من اللغة العربية:

١ - فرنسا واللغة العربية:

شنت فرنسا حرباً ظالمة قاتمة فاحمة على اللغة العربية في البلاد التي احتلتها؛ لتنقطع تلك الشعوب عن أي أثر كان من الآثار التي تصلها بتراثها الإسلامي وأصالته؛ إذ إن

(١) الفصحى لغة القرآن تأليف الأستاذ أنور الجندي ص١١٩.
(٢) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله تأليف جلال العالم ص٣١.
(٣) لزيادة الاطلاع ينظر: الإسلام وقصة العامية للمؤلف.

ذلك التراث يحول دون ذوبان الشعب بتراثه الإسلامي في بوتقة الثقافة الفرنسية.

فرنسا في بلاد الشام:

يوم قامت فرنسا باحتلال ساحل الشام سنة ١٩١٩، عملت على تشجيع اللغة العامية ومحاربة العربية الفصحى، وجعلت بعثات التخصص باللغة العربية، محصورة بالجامعات الفرنسية فقط، وكانت تمنح خريجي تلك الجامعات امتيازات كثيرة حُرم منها خريجو الجامعات الأخرى، وكان المستشار الثقافي الفرنسي يشرف بنفسه على إيفاد الطلاب، ويعيّن للتدريس من يريد هو تعيينه.

وتولى خريجو تلك الجامعات تدريس اللغة العربية كما تلقوها عن اساتذتهم المستشرقين! أما العلماء البارعون من ذوي الكفاية في اللغة، فقد عزلوا عن التدريس.

فرنســا في الجزائــر:

قامت فرنسا لما احتلت الجزائر بفرض اللغة الفرنسية على الشعب الجزائري، ومنعتهم من التدريس باللغة العربية في المدارس والمعاهد، ومنعتهم -ايضاً- من تأسيس مدارس ومعاهد لتعليم اللغة العربية والثقافة العربية، كما منعتهم من استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي، فصار من يعرف العربية ولم يعرف الفرنسية أمام الإدارة الفرنسية في درجة واحدة مع الأمّي؛ فأجبر هذا الأسلوب كثيراً من الناس على تعلّم اللغة الفرنسية، ولكن على حساب التفريط باللغة العربية، وقاموا بوضع الكتب المدرسية في قسم من اللهجات العامية، وكانت خاتمة المطاف صدور القرار رقم ١٩٣٨ الذي عدّ اللغة العربية لغة أجنبية يمنع تعليمها في المدارس الحكومية. وهكذا لم يبقَ للّغة العربية إلا الكتاتيب وعدد من المدارس الدينية التي كانت تعاني من الإهمال.

إن هذا الاسلوب في التعليم جعل طلاب المدارس ينشأون على البعد عن لغة القرآن.

وجاء قرار الإستعمار الفرنسي الذي صدر سنة ١٨٤٩ حاسماً في محاربة اللغة العربية وفيه: (إن لغتنا هي اللغة الحاكمة؛ فإنَّ قضاءنا المدني والعقابي يُصدر أحكاماً على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة. وبهذه اللغة يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي ينبغي أن يُعنى بها قبل كل شيء: هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دائرة وعامة بين الجزائريين، الذين قد عقدنا العزم على استمالتهم الينا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين)[1].

ومع كل ما فعله الإستعمار الفرنسي في محاربة لغة القرآن، فقد قيض الله لهذه اللغة حماة لها عَمَرَ الإيمان قلوبهم، وعرفوا ما تنطوي عليه دعوات الإستعمار الفرنسي في محاربة اللغة العربية، فتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان لها دور رائد في إنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية والدين.

لقد كانت الجهود التي بذلها الاستعمار الفرنسي لمحو عروبة الجزائر والقضاء على لغة القرآن ومحو آثار الإسلام كثيرة، لكن إيمان الجزائريين بدينهم، ودفاعهم عن لغتهم، جعل الإستعمار يخفق مرة بعد مرة في تحقيق أهدافه، ومصداق ذلك: ما نراه من تمسّك الشعب الجزائري بدينه واهتمامه بلغة القرآن، ولسان حال ومقال الواحد منهم ما قاله الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله:

شعب الجزائر مسلم ... والى العروبة ينتسبْ
مَنْ قال حاد عن اصله ... أو قال مات فقد كذبْ

فرنسا في المغرب العربي:

حصلت المغرب على استقلالها سنة ١٩٥٦. وقد كان من المؤمل والمنتظر أن يبلغ

(١) اللغة والاقتصاد تأليف فلوريان كولماس ص١٤٨، ترجمة: احمد عوض (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الاهتمام بلغة القرآن مداه حينذاك، ولكن خابت الآمال؛ إذ واجهت اللغة العربية حرباً ظالمة غاشمة، تولى كبرها السائرون في ركاب الثقافة الفرنسية، وقد كانت تلك اللغة الفرنسية مدعومة من جهات عدة، وكان للمتفرنسين أثر واضح في ذلك، فتولى عدد من وسائل الإعلام الدعوة الى الاهتمام باللغة الفرنسية، واصفين تلك اللغة بأنها تمثل الحضارة والثقافة والتقدم، وفي الوقت نفسه كانت العربية عرضة للهجوم عليها من هنا وهناك، فأظهروها بمظهر التخلف، ونعتوها بنعوت الجمود والبسوا الدعاة اليها ثوب الرجعية؛ لتظل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد، وتظل العربية لغة العامة من الناس.

وقد كثرت المدارس الفرنسية التي تُعنى بالثقافة على الطريقة الفرنسية باللغة الفرنسية، وذلك من أجل أن تتولى هذه الطبقة من الناس المناصب العليا في البلاد في المستقبل، وليكون ولاؤهم لفرنسا، ولئلا يهتم الناس بلغة القرآن التي وصفوها بأنها لغة العامة من الناس.

فرنسا في إفريقية الوسطى:

ولم يكن حرب الإستعمار الفرنسي على لغة القرآن بمقتصر على بلاد الشام او الجزائر او المغرب، بل كانت في كل دولة تمكنت من استعمارها، فكانت تلاحق حتى مدارس الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية، وتمنعهم من الدراسة باللغة العربية.

وكمثال على ذلك دولة (افريقية الوسطى): فقد منع الإستعمار الفرنسي تدريس اللغة العربية في المدرسة الوحيدة للمسلمين في العاصمة (بانكي) -وكان اسمها مدرسة الفلاح- فكان المفتش الفرنسي -وهو ممن يحسن العربية قراءة وكتابة- يأتي لتفتيش المدرسة في أيِّ وقت شاء؛ خشية أن تدرس اللغة العربية. وقد وضع الاستعمار حراسة مشددة على الحدود السودانية والتشادية، فإذا أقبل أحد من السودان او تشاد ومعه كتب

باللغة العربية، أخذوها منه وألقوه في غيابات السجون! وظل الأمر هكذا حتى حصلت (افريقية الوسطى) على استقلالها سنة ١٩٦٠.

اهتمام فرنسا بلغتها الفرنسية:

حرصت فرنسا على نشر لغتها في عدد كثير من دول العالم -وبخاصة الدول التي قامت باستعمارها- لعلمها أن لغة كل أمة هي وعاء الثقافة والاصالة فيها. ولم يقف اهتمامها عند حد الدول التي استعمرتها ولم تنسحب منها، بل شملت حتى الدول التي انسحبت منها بعد أن حصلت على استقلالها، وذلك من أجل دعم اللغة الفرنسية، سواء كانت تلك الدول تتحدث الفرنسية كلياً او جزئياً. مع أن اللغة الفرنسية ليست بلغة دينية، فعملت على نشرها، وتشجيع الناس على تعلمها من خلال اغراءات كانت تقدمها للمتعلمين؛ لأنها أرادت أن تحافظ عليها لأنها الحافظة لهويتها.

ويدلنا على اهتمام فرنسا بلغتها: أن (ميتران) رئيس فرنسا الأسبق أعلن في قمة (داكار الفرانكفونية) في شهر آيار سنة ١٩٨٩ (أن فرنسا سوف تلغي الدين العام للبلدان الإفريقية الخمسة والثلاثين الأفقر: وهو ١٦ بليون فرنك في جملته، وفي المقابل ينتظر من هذه البلدان أن تستمر في ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية في الحكومة والتعليم)[1].

٢ - الانكليز واللغة العربية:

فرض الانكليز لغتهم على مصر بعد ان استعمروها، وجعلوا (اللغة الانكليزية) لغة التعليم، وبها تؤدى الامتحانات. وحينذاك أصاب لغة القرآن ما أصابها من الضعف والهوان. واذا كان من المخلصين للأمة من يقترح أن يكون التدريس باللغة العربية بدل اللغة الانكليزية، فسرعان ما تنطلق ألسنة الحاكمين السائرين في ركاب الانكليز بأن ذلك

(١) اللغة والاقتصاد تأليف: فلوريان كولماس ص١٤٧ .

ليس في مصلحة مصر؛ لأن اللغة العربية -بزعمهم- لا تستطيع أن تستوعب العلوم.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل دعا القاضي الانكليزي (ولمور) الصحفيين أن تكون كتاباتهم باللهجة العامية، وكتب كتابه (لغة القاهرة) ويقع في أربعمائة من الصفحات، اقترح فيه أن تكون الكتابة باللغة اللاتينية!!

وقد دعا هذا الأمر شاعر النيل حافظ إبراهيم أن يكتب قصيدته (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها) جاء فيها:

رجعتُ لقومي فاتهمت حصاتي ... ونوديت قومي فاحتسبت حياتي
رمـوني بعقم في الشباب وليتني ... عقمتُ، فلم أجـزع لقول عداتي
ولـدتُ ولـما لم أجـد لعرائسي ... رجـالاً وأكـفـاءاً وأَدْتُ بناتي
وسـعـت كـتـاب الله لفظاً وغاية ... ومـا ضقتُ عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ ... وتـنـسـيـق اسـمـاء لمـخـترعـات
انـا البحر في احشائه الـدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ومنها:

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... يـنـادي بـوأدي في ربـيـع حياتي
ولـو تـزجـرون الطير يوماً علمتم ... بـما تحـتـه مـن عـشـرة وشـتـات

ومنها:

أرى كـل يـوم بـالجـرائـد مزلقاً ... مـن الـقـبر يدنيني بـغـير أنـاة
واسمع للكتّاب في مصر ضَجَّةً ... فـأعـلـم أن الـصـائـحين نعاتي
أيهجرني قومي -عفا الله عنهم- ... الى لـغـة لم تـتـصـل بـرواةِ
سرتْ لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفـاعـي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعةً ... مشكلة الألـوان مختلفات[1]

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ٢٥٣-٢٥٥ ضبطه وصححه: ابراهيم الأبياري وجماعته طبع سنة ١٩٦٩.

ولقد وقف المخلصون من المصريين ومن غيرهم يقارعون دعوات الانكليز، ويردون على ما يثيرونه من شبهات عن اللغة العربية، بعد أن أماطوا اللثام عن وجوه دعاتها، حتى عرف الناس أن وراء الأكمة ما وراءها.

ولم يكن نهج الانكليز هذا خاصاً بمصر وحدها، فقد نهجوا النهج نفسه في (السودان) ايضاً، فكانت دراسة المرحلتين الابتدائية والثانوية باللغة الانكليزية لمن يريد أن يتم دراسته الجامعية. وزاد التضييق على اللغة العربية في السودان حتى لم يبقَ لها سوى المعهد الديني في (ام درمان) الذي حافظ على لغة القرآن، وكذلك المعاهد المصرية. وحدّث ما شئت أن تحدّث عن دور المدارس الأجنبية في إضعاف لغة القرآن.

قال الأستاذ جرجس سلامة:

(إن المدارس الأجنبية –كلها– دون استثناء، قد اسهمت بنصيب كبير في إضعاف اللغة العربية: فهي تُلقي في خضمّ الحياة المصرية كل عام مَنْ ينظرون الى غيرهم من طبقات المتعلمين في المدارس الحكومية الوطنية نظرةً متعالية، والى اللغة العربية النظرة نفسها)[1].

(لقد كانوا يحاربون العربية بكل سلاح، ويكيلون لها التهم جزافاً، وكانوا في الوقت نفسه يشجعون تعليم (اللغة الكردية) في مدارس العراق، ويحيون (اللغة البربرية) في أرض الجزائر، وينشط علماؤهم في وضع قواعد لها، وتأليف كتب فيها، وتيسير تعليمها للناس)[2].

ومع ما بذله المستعمرون من أساليب لصدّ الناس عن لغة القرآن، فقد ظلت هذه اللغة واقفة أمام تحديات المستعمرين، ومكايد الشعوبيين، وعبث العابثين، وعدوان المعتدين، محتفظة بخصائصها، على الرغم مما أصابها من صدمات وعقبات؛ لأنها كانت

(١) أباطيل وأسمار للاستاذ محمود محمد شاكر ١/ ١٨٧، الطبعة الثانية.

(٢) العدوان على العربية عدوان على الإسلام تأليف الدكتور: عبد الرحمن رأفت الباشا، ص٢٤، الطبعة الثالثة ٢٠٠١، دار الأدب الإسلامي، القاهرة.

تحمل بذاتها خصائص حياتها، فوق وجود القرآن الذي كان حافظاً لها.

٣ - اسرائيل واللغة العربية

منذ أن أشرقت شمس الإسلام على الوجود، وقف اليهود وقفة عداء من الإسلام، متخذين أساليب شتى في محاربته. وفي القرن العشرين كان عملهم متميزاً في إحياء لغتهم من القبور، والعمل -في الوقت نفسه- على محو أي أثر كان من آثار العرب واللغة العربية في فلسطين: فقاموا بتغيير كثير من المعالم العربية التي كتبت عليها عبارات باللغة العربية، وصاروا يغيرون أسماء المدن العربية الى أسماء باللغة العبرية، وكذلك اسماء القرى، والقلاع، واسماء السهول والأنهار.

كما قامت السلطات الاسرائيلية بتشويه الكتب المدرسية في عدد من الصفوف في المدارس العربية من خلال وجود كثير من الأخطاء اللغوية والصرفية والنحوية والإملائية فيها، وهذه الكتب مقرّة من وزارة المعارف الاسرائيلية، وسوف تترك -بلا ريب- آثارها الكبيرة على الطلاب الدارسين لها، بحيث يصعب على الكثير تقويمها في المستقبل.

ولم يكن هذا الاسلوب حديث عهد منهم، بل هو قديم، يعود تاريخه الى نيِّفٍ وستين سنة مضت. ولم تكتف الحكومة الاسرائيلية بهذا، بل قامت على أرض الواقع بتهميش العربية ومحاولة تغييرها في الحيِّز العام. ومع أن قانون الإنتداب الانكليزي الرسمي لسنة ١٩٢٢ ينص على أن اللغتين العربية والعبرية لغتان رسميتان في البلاد، إلا أن اللغة العربية لا تحظى بحماية قانونية واضحة، وإن المؤسسات الرسمية تتجاهل اللغة العربية، والقضاء الإسرائيلي -بمحاكمه كلها- لا يتعامل مع اللغة العربية حتى ولو كان المتهم عربياً والمحامي عنه عربياً ايضاً، فلا يكون الدفاع عن المتهم ولا القرارات والاستجوابات والمراسلات إلا باللغة العبرية فقط. وهكذا الأمر في جوازات السفر وشهادات الميلاد،

فإنها لا تكتب إلا باللغة العبرية. وهناك أصوات صهيونية ترتفع بين حين وآخر تدعو الى حذف تدريس اللغة العربية من المناهج في الأرض المحتلة، فقد حذّر الدكتور (تسفي تساميريت) رئيس اللجنة التربوية في وزارة التربية والتعليم في مؤتمر عقد في آيار (مايو): (أن تعلّم العربية في اطار جهاز التعليم قد يحصل نتائج خطيرة)[1]. فهذا المسؤول الكبير في اسرائيل يطلب أن لا تدرّس اللغة العربية في المدارس للطلاب العرب.

وكمثال آخر على حقد الصهاينة على لغة القرآن ما قاله (البروفيسور الداد) زعيم حركة (من أجل أرض اسرائيل الكاملة) في صحيفة (معاريف) عن مستقبل عرب فلسطين واللغة العربية ما يأتي:

(إنَّ الحل الإنساني -في نظري- لتقوية دولة اسرائيل: هو طرد العرب من أرض اسرائيل، ومكافحة لغتهم، حيث يوجد بيننا وبينهم خلاف موضوعي، وتناقض تام: فأما أن تكون أرض اسماعيل او ارض اسرائيل. إنني أطالب بحقي في إحياء لغتي العبرية -وحدها دون غيرها- في أرضي، فلو كانت هناك محكمة دولية عادلة، وطرح الموضوع أمامها، لحكمت لنا بإحياء لغتنا في أرضنا، وإبادة غيرها)[2].

٤ - اسرائيل واللغة العبرية:

ظلت اللغة العبرية مدة مديدة من القرون لغة طقوس دينية ليس إلا. فلم تكن في يوم من الأيام لغة علم وحضارة ومدنية وثقافة. وبقيت مهملة هكذا لم يعن بها أحد إلا في مطلع القرن العشرين لما أقام اليهود دولة لهم في فلسطين. فقد اهتمت الحركة الصهيونية بها بعد أن علموا أن كل شعب لابدّ أن تكون له لغة خاصة به، فعملوا على بعث اللغة العبرية من القبور فقامت هيئات تخدم اللغة العبرية مثل أكاديمية اللغة العبرية، وقد

(١) القدس العربي الصادرة في لندن في ١٠/ ٩/ ٢٠١٠، وتاريخ حفظها في ١٣/ ٩/ ٢٠١٠.
(٢) العربية بين التغريب والتهويد للدكتور فهد خليل زايد ص١٨١.

منعوا استخدام اي مصطلح من المصطلحات الاجنبية اذا وجد مقابل له في اللغة العبرية، واتخذت اسرائيل العبرية لغة رسمية لدولتها سنة ١٩٤٨، فصارت اللغة الأم لهم: لغة الحديث والتدريس والكتابة، فجمعتهم بعد تشتتهم في دول العالم، حيث جاءوا من أكثر من مائة دولة: من انكلترا وفرنسا وروسيا والمجر وبولونيا واليمن وسوريا والعراق... يحملون معهم ما يقرب من مائة لغة ولهجة، جاءوا الى ارض فلسطين من اصقاع الدنيا، وتعلّموا العبرية، وعلّموها أولادهم، وصار تدريس العلوم والمعارف بها. وقد مكنهم هذا الإهتمام بلغتهم من جمع شتاتهم، ورأب صدعهم، ولمّ شعثهم، وتوحيد صفوفهم، واهتمامهم بديانتهم اليهودية. وقد تنبأ (محمد كرد علي) رحمه الله بأن اهتمام اليهود بلغتهم العبرية سيجعل الديانة اليهودية تنبعث من مراقدها فقال:

(احتفل الصهيونيون سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤-١٩٢٥)م بانشاء جامعتهم العبرية في القدس، يعلّمون العلوم باللغة العبرانية، ولا تمضي خمس عشرة سنة حتى تنبعث الديانة اليهودية والمدنية اليهودية من مراقدها[١]. كما انبعثت منذ القرن الماضي في بيروت شعلة المدنية الأمريكية، والمذهب الانجيلي من الجامعة الأمريكية، وانتشرت المدنية الفرنسية والكثلكة من كلية القديس يوسف اليسوعية)[٢].

وتطبيقاً لذلك قاموا بترجمة شتى العلوم والفنون:كالطب والفلسفة واللاهوت... الى لغتهم العبرية.

ولقد منحت (جائزة نوبل) في أواخر عام ١٩٦٦ لشاموئيل يوسف عجنون اليهودي، وأثنت اللجنة على عمله المتواصل من أجل إحياء لغته العبرية المندثرة، وكان مما قالته اللجنة: (تمثّل رسالة اسرائيل، وتكافح كفاحاً رائعاً من أجل تقويم التراث الثقافي

(١) كان في فلسطين -آنذاك- ٨٥ مدرسة ابتدائية ومتوسّطة تعلم العبرية لأكثر من عشرين ألفاً من الطلاب والطالبات.

(٢) من حاضر اللغة تأليف: سعيد الأفغاني ص١٧٢، الطبعة الثانية، بيروت.

للشعب اليهودي عن طريق الكلمة المكتوبة)[1].

إن ما ذكرته هنا من تحديات للنيل من لغة القرآن إنْ هو إلا جزء يسير لما تعرضت له هذه اللغة. وهناك دول كثيرة ذاقت ما ذاقت من محاربةٍ للغة القرآن، حتى صار تعلم اللغة العربية وتعليمها في عدد من الدول جريمة يعاقب عليها القانون، كما حدث في الحبشة في عهد (هيلاسي لاسي)، فقد منع تدريس اللغة العربية، وصار المسلمون ملزمين بدراسة اللغة الأمهرية. وهكذا صار الحال في (اريتيريا): فقد أصدر قائد الجبهة الشعبية لتحرير اريتيريا (اسياس افورقي) قراراً يقضي بترك اللغة العربية، وأن تكون الانكليزية هي لغة البلاد. ولا ريب أن هذا القرار قد استهدف الإسلام في الصميم، حتى قال واحد من المسؤولين الكبار: إنَّ إلغاء اللغة العربية -يساوي إلغاء دور الإسلام والمسلمين في اريتيريا.

❊ ❊ ❊

(١) مجلة التربية الإسلامية الصادرة في بغداد، العدد: الحادي عشر، السنة السابعة، ص٥٤.

شـــذرات في لغـــة القـــرآن

هوية الأمة الإسلامية:

إنَّ الذود عن حياض وحصون أمتنا لا يكون بحماية أرضنا وحدها، بل يكون -قبل ذلك- بحماية لغتنا- كما يقول الدكتور مازن المبارك - وقد كان الاهتمام بلغة القرآن هو الذي حفظ لأمتنا هويتها الإسلامية من الذوبان في بوتقة المستعمرين بعد أن دخلوا البلاد العربية، وحاربوا اللغة العربية فيها: كالجزائر والمغرب وتونس وليبيا وغيرها؛ فلولا اهتمام علماء المسلمين بهذه اللغة، لذهبت هوية الأمة الإسلامية.

العربية لم تتغير:

ومن عظمة لغتنا: احتفاظها بكلماتها وقواعدها من غير أن يصيبها تغيير وتبديل، على الرغم من القرون المتطاولة التي مرّت عليها.. هذه اللغة العربية التي نتحدث بها اليوم، لو قُدِّر لإنسان عربي مات من خمسة عشر قرناً، ثم قيِّضَ له أن يعود الى الحياة من جديد، لوجد العربية كما هي بكلماتها، لم يؤثر بها تطاول القرون. وهذه سمة من سمات لغتنا لا نجدها في اللغات الأخرى التي أصابها التحريف، حتى صار الناس بعد قرنين او ثلاثة لا يفهمون اللغة الأم. فهذا (شكسبير) وقد مات في القرن السابع عشر لا يستطيع كثير من الشعب الانكليزي الآن فهم لغته، ولا يستطيع كثير من الفرنسيين الآن فهم ما كتبه (رينان) في فلسفة التاريخ، وهكذا الأمر فيما كتبه (سبنسر) الانكليزي، وما كتبه (شوبنهور) الألماني، وغيرهم وغيرهم... إنها ميزة للعربية عن غيرها من اللغات، لم تتبدل ولم تتغير، وكان الفضل في ذلك للقرآن الكريم.

العربية لا تمـوت:

القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي ظلَّ محتفظاً بلغته، ويظل كذلك محتفظاً بها، ويحفظها من عاديات الزمن: فلا يصيبها الفناء كما أصاب اللغات من قبلها.

واذا كانت اللغات الحية في عالم اليوم كثيرة، فإن الاضمحلال والموت والفناء سيصيبها كما أصاب لغات أخرى في سالف العهود: نشأت، وترعرعت، وشبّت، وكبرت، ثم اضمحلت وماتت، وليستْ كذلك العربية؛ فإنها تظل باقية ما بقي الليل والنهار؛ لأنها لغة القرآن.

ترك لغة القرآن خسـارة:

إن من يدعو أمته الى ترك لغة القرآن والأخذ بلغته القومية يسيء الى أمته كل الإساءة؛ إذ يقطعها عن تاريخ مجيد حافل بالعظمة، اشتركت أجناس كثيرة واعراق عديدة في تدوينه بلغة القرآن التي أحلتها من نفسها المحل الأرفع؛ ذلك لأن لغة القرآن هي لغة كل مسلم، ويكفيها رفعة أن القرآن الكريم نزل بها، وبها كتبت عقيدة المسلم وشريعته وأخلاقه وتاريخه، وان اللغة العربية لم تكن ملكاً لشعب بعينه، بل هي ملك لكل العرب ولكل المسلمين، ينهلون من موردها العذب، ومائها الزلال، ومنهلها الصافي. وهكذا فعل الفرس والأكراد وغيرهما من الشعوب في الأسفار التي كتبوها بلغة القرآن.

التغني بلغة القـرآن:

وإنْ أنسَ فلا أنسى تلك الأبيات الشعرية التي حفظناها في الدراسة الابتدائية، وكنا نتبارى منشدين لها في الاصطفاف في اكثر الايام صباحاً وهي:

لا تلمني في هواها ... أنا لا أهوى سواها
لستُ وحدي أفتديها ... كلنا اليوم فداها
نزلت في كل نفسٍ ... وتمشّت في دماها
فبها الأمُّ تغنّت ... وبها الوالد فاها
كلما مرَّ زمان ... زادها مجداً وجاها
لغة القرآن هذي ... رفع الله لواها
هي مجد الفخر تحنو ... عند ذكراها الجباها
فأعيدوا يا بنيها ... نهضةً تُحيي رجاها
لم يَمُتْ شعبٌ تباهى ... في هواها واصطفاها

واجبنا تجاه لغة القرآن:

لقد بذلت أمتنا جهوداً جهيدة على مدار التاريخ، حتى أوصلت لنا هذه اللغة سليمة لا شائبة فيها، وحفظتها من مكر الماكرين، واعتداء المعتدين، وإرجاف المرجفين. فمن حقّ أبنائنا علينا أن نجاهد من أجل الإهتمام بها، والذود عن حياضها، ونكشف مكر الماكرين الذين يريدون صدّ الناس عنها؛ ليصدوهم عن فهم الإسلام الذي لا يُفهم على حقيقته إلا بالعربية الفصحى.

ومن واجب الحكومات العربية والإسلامية أن تقوم بفتح مدارس ومعاهد ومراكز في انحاء العالم –وخاصة في البلاد الإسلامية– تدرس فيها اللغة العربية بأسلوب يتلاءم والعصر الذي نعايشه؛ لتيسير فهم المادة، وإدخالها في قلوب وعقول المتعلمين.

ولا ريب أن أعداداً ليست بالقليلة من المسلمين في العالم الإسلامي متعطشون لمعرفة لغة القرآن. وعلى الجهات المسؤولة أن تقوم –ايضاً– بأعداد المعلم الذي يحبّ العربية، ويتفانى من أجلها.

لماذا الحديث في لغة القـرآن:

وإني حين أتحدث في لغة القرآن وتبيان فضلها لا أنطلق من منطلق التعصب القومي -وحاشا لله أن يكون مني شيء من ذلك- لأن الله عز وجل أعزني بهذا الدين، وقد كان شعاري -وما زال كذلك- ما قرره القرآن الحكيم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٣، وما قرره نبينا محمد ﷺ، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)[1].

لكني كتبت هذا، لأن لغتنا وثيقة الصلة بالإسلام أولاً، ولأني أردت أن أُذكر الناس بفضل هذه اللغة ثانياً، ولأني أردت ايضاً أن أُنبه من قلب للغتنا الجميلة ظهر المِجَن، وازورّ عنها، وهجرها-بعظمة هذه اللغة بعد ذلك؛ لعله يثوب الى رشده، ويعلمُ أن تركه للغة القرآن وأخذه بلغته القومية بدلاً عنها خسارة عظمى.! وأقول من غير تردد: كم يسيء لأمته من يصرف أمتهُ عن تعلمها، مقتدياً بما فعله (مصطفى كمال اتاتورك) في محاربته للّغة التي أنزل الله بها قرآنه؟!.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الإمام احمد عن أبي نضرة ١٧/ ١٢، حديث ٢٣٣٨١، شرحه: حمزة احمد الزين، الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥، دار الحديث، القاهرة.

العربية: فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية[1]

للشيخ الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

(١) الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم كبير من علماء الجزائر. ولد في ١٥/ شوال/ ١٣٠٦، الموافق ١٦/ ٧/ ١٨٨٩م في بيت عريق في العلم، فدرس على والده وعمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، وواصل تعليمه في المدينة المنورة، ثم عاد الى الجزائر ليبدأ جهاده لتحريرها من الاستعمار الفرنسي وقام مع الشيخ (عبد الحميد بن باديس) بتأسيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، واختير ابن باديس رئيساً لها، والإبراهيمي نائباً للرئيس، وقد قام بأعمال عظيمة في بناء المدارس الإسلامية، وإلقاء المحاضرات في أماكن شتى، وبناء المساجد، وبثّ في الشعب الجزائري روح المقاومة ضدّ الاستعمار الفرنسي. وشعر الفرنسيون بخطره عليهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت بوجوده مقاوماً لاستعمارهم، فاعتقلوه ونفوه الى (صحراء وهران) سنة ١٣٥٩-١٩٤٠. وشاء الله أن يُتوفى ابن باديس بعد اعتقال الشيخ الابراهيمي باسبوع واحد. وكان علماء الجزائر يقدِّرون للشيخ الابراهيمي قدره، ويعرفون مكانته العلمية والدعوية والجهادية فاختاروه رئيساً لجمعيتهم مكانه وهو لا يزال في المعتقل، ولم يفرج عنه إلا في سنة ١٣٦٢-١٩٤٣، واعتقل مرة ثانية سنة ١٣٦٤-١٩٤٥، وأفرج عنه بعد سنة. وقد كتب الشيخ الإبراهيمي عدداً كثيراً من المقالات المتسمة بالجرأة والنقد القاسي لفرنسا وعملائها، حتى تحررت الجزائر من الاستعمار البغيض.

كان الشيخ الإبراهيمي يعلم مدى محاربة فرنسا للغة العربية، فكتب مقالات كثيرة يدعو فيها الى الاهتمام بلغة القرآن، وكتب -ايضاً- عدداً من الكتب القيمة في أسرار اللغة العربية، تدل على رسوخ قدمه في اللغة، فوق كتبه الأخرى في موضوعات متنوعة. وظل الشيخ الإبراهيمي يتنقل بين البلاد هنا وهناك. وبعد أن قُرّتْ عينه باستقلال الجزائر عاد اليها وكله أمل أن تحكم بالشريعة الإسلامية، لكنه أصيب بخيبة أمل حين رأى الجزائر التي جاهدت المستعمر من أجل دينها وقدمت أكثر من مليون من الشهداء تحكم بقوانين وضعية ومبادئ أرضية؛ فأصدر بياناً باسم جمعية العلماء الجزائريين حذّر فيه من استيراد انظمة الحكم الوضعية، ورأى رئيس الجزائر -آنذاك- في البيان تعريضاً به وبحكومته، ففُرضت عليه الإقامة الجبرية، وظل رهن تلك الإقامة الى أن انتقل الى رحمة الله يوم الخميس ١٨/ من شهر المحرم/ سنة ١٣٨٥، الموافق ١٩/ ٥/ ١٩٦٥.

وهذا البحث الذي بين يديك -اخي القارئ- هو محاضرة ألقاها الشيخ الإبراهيمي، وقد كان نائباً لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بطلب من رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس، يبين فيها مكانة اللغة العربية وفضلها، داعياً الى الإهتمام بها وإحيائها. وآثرتُ نشرها في هذا الكتيّب ليعم النفع، ويجد القارئ فيها الأسلوب الأدبي الرائع، والتعبير اللغوي الرصين، والمادة العلمية القيمة. وقد نُشرت هذه المحاضرة في مجلة (الشهاب): الجزء الأول- المجلد الخامس عشر سنة ١٩٣٩، وعنها نقلها عمار بن خميسي في كتابه (الممتع في اخبار العلم والعلماء) ص١٧٩-١٨٨، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار ابن حزم، بيروت.

كلّفني الأستاذ الرئيس (عبد الحميد بن باديس) أن احاضر في هذا الجمع العربي الحاشد، بكلمات في ناحية زاخرة من نواحي لغته الجليلة، وجانب عامر من جوانبها الفسيحة: وهو فضلها على العلم والمدنية، وأثرها في الأمم غير العربية؛ إشادة بفضل هذه اللغة الشريفة، في هذا الإحتفال العلمي، ووفاءً لبعض حقها علينا، وحفزاً لهممكم، وأنتم أبناؤها البررة – أن تهن في خدمتها، وأن تقصِّر في حقّها، وإعلاناً للمعنى الذي قامت جمعية العلماء بتحقيقه: وهو إحياء هذه اللغة، وإحياء الدين الذي ترجمت محاسنه، واضطلعت بحمل أسراره. ثم عهد إلي الأستاذ أن أكتب ما ألقيه عليكم؛ ليعمّ بنفعه السامعين والقارئين، وأن هذا الموضوع الذي سلّمني الأستاذ الكتابة فيه موضوع علمي تاريخي، لا تَعْلَق الحافظة بأسبابه كلها، ولا تقوى على جمع أطرافه، وإنما عماده البحث والتنقيب، وإقامة الشواهد، وحشد النُّصوص، وهذا ما لا يسعه وقت التكليف وهو يومان، تخلّلهما فروض المجلس الإداري، وواجبات جمعية العلماء؛ لذلك كله سلكت في الكتابة مسلكاً أدبياً، يستمدّ من الخيال أكثر مما يستمد من الحقيقة، ويعتمد على الخطابة أكثر مما يعتمد على البرهان، ويرمي الى إلهاب الحماس في نفوسكم أكثر مما يرمي الى تقرير الحقائق فيها. فإن بلغتُ رضاكم بما تسمعون فذلك، وإن قصرت عن الغاية كان ضيق الوقت وسعة الموضوع شفيعي في التقصير.

أيها الاخوة:

انشقت اللغة العربية عن أصلها السامي في عصور متوغلة في القدم، وجرت في ألسنة هذه الأمة التي اجتمعت معها في مناسب المجد، وأرومات الفخر، وشاء الله أن يكون ظهورها في تلك الجزيرة الجامعة بين صحو الجو وصفو الدوّ[1] والمحبوّة بجمال الطبيعة ومحاسن الفطرة، لتتفتّق أذهان عمار تلك الجزيرة عن روائع الحكمة، مجلوّة في معرض البيان بهذا اللّسان، وقد كانت تلك اللغة ترجماناً صادقاً لكثير من الحضارات المتعاقبة

(١) (الدَّوُّ والدَّوِّيَّةُ والدَّاوِيَّةُ: الفلاةُ) القاموس المحيط: ١٢٨٤.

التي شاهدها العرب بجزيرتهم، وفي أوضاع هذه اللغة الى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقات سمات.

وفي هذه اللغة من المزايا التي يعز نظيرها في لغات البشر: الاتساع في التعبير عن الوجدانيات، والوجدان أساس الحضارات والعلوم كلها.

وهذه المدنية التي تردد لفظها الألسن، ويصطلح المؤرخون على نسبتها الى أمم مختلفة، ويميزون بينها بطوابع خاصة، ويشتد المتعصبون في احتكارها لأمة دون أمة كأنها خُلقت معها او كأنها ذاتية لها، هي في الحقيقة تراث انساني، تسلّمه أمة الى أمة، وتأخذه أمة عن أمة، فتزيد فيه او تنقص منه بحسب ما يتهيأ لها من وسائل، وما يؤثر فيها من عوامل. وخير الأمم وأوفاها للمدنية هي الأمة التي تقوي الجهات الصالحة في المدنية، وتكمّل النقائص الظاهرة فيها، وتسعى في نشرها وإشراك الناس كلّهم في خيراتها ومنافعها، وخير اللغات ما كانت لساناً مُبيناً للمدنية، تسهل على الناس سبيلها، وتمهّد لهم مقيلها.

وقد أصبح احتكار المدنية لأمم خاصة تقليداً شائعاً متعاصياً عن التمحيص والنقد، ومن هذا الباب احتكار الغربيين للمدنية القائمة اليوم، وما هي في الحقيقة إلا عصارة الحضارات القديمة، ورثها الغربيون عمّن تقدمهم، وقاموا عليها بالتزيين والتحسين والتلوين، وطبعوها بالطوابع التي اقتضاها الوقت، وانتحلوها لأنفسهم اصلاً وفرعاً. ولا تزال التنقيبات عن مخلفات الحضارات القديمة تكشف كل يوم عن جديد يفضح هؤلاء المحتكرين، ويقلل من غرورهم.

ومن العجائب أنّ هذه الحضارة القائمة الآن تساندت في تكوينها وفي تلوينها عدة لغات مختلفة الأصول، ولم تستطع أن تقوم بها لغة واحدة على حين أن العربية قامت وحدها ببناء حضارة شامخة البنيان، ولم تستعر من اللغات الأخرى إلا قليلاً من المفردات.

أيّها الإخوان:

ازدهرت حضارات الأمم القديمة من العرب وفارس والهند والصين ومصر واليونان والرّومان، وزخرت علومها، وكانت كلها مبنية على أصول عامة متشابهة، وكانت لكل

حضارة لغتها المعبرة عن محاسنها، والكاشفة عن حقائقها، وكانت لتلك اللغات أثر بين في بقاء الحضارة وانتشارها، وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتساع، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، كاللسان في البدن عضو لا كالأعضاء. ثم اندثرت تلك المدنيات والعلوم إلا ما بقي من آثار الأولى منقوشاً على الأحجار، وما بقي من آثار الثانية مكتوباً في الأسفار. ولولا اللغات لم نتبين من الحضارات ما تبيَّنّاه.

أيها الإخوان :

كانت الحضارات القديمة تقوم على تعبد يسدّ شعور النفس البشرية بالخضوع الى قوّة أعلى منها، فإن لم يكن هذا التعبّد حقاً طغت عليه الخرافة، وأصبحت الخرافة جزءاً من المدنية، وتقوم على تشريع يوزّع العدل بين الناس، ويحفظ مصالحهم الدنيوية، فإن لم يستند هذا التشريع على وحي سماوي او نظام شوري، طغى عليه التحكّم والاستبداد، وأصبح الاستبداد جزءاً من تلك المدنية.

وتقوم على نتاج القرائح البشرية من علوم، فإن لم تكفل هذه القرائح حريّة شاملة لابسها التزوير والكذب، وأصبح التزوير والكذب جزءاً من تلك المدنية. وتقوم على لغة تسع تلك المدنية بياناً وافصاحاً، فإن ضاقت اللغة خسرت المدنية، وإن حضارة اليوم لم تسلم من بعض هذه النقائص والعيوب.

كانت هذه حال الحضارات الى أن جاء الإسلام بالحضارة التي لا تُبيد، والمدنية المبنية على حكم الله وآداب النبوّة، فكان التوحيد أساسها، والفضائل أركانها، والتشريع الإلهي العادل سياجها واللغة العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانها، وبذلك كله أصبحت مهيمنة على المدنيات كلها، ووضع الإسلام هذه الحضارات الخالدة على القواعد الثابتة مما ذكرناه. وقامت اللغة العربية ببيانها على أكمل وجه، وكانت الأمة المدخرة لتشييد هذه الحضارة التي نسميها بحق الحضارة الإسلامية هي الأمة العربية.

فهم العرب لأول عهدهم بالإسلام، وبإرشاد القرآن أن هناك أمماً قد خَلت عمرت

الأرض، ومكّن الله لها، وكانت أكثر أموالاً، وأعز نفراً وأثبت آثاراً، وامتثلوا أمر القرآن بالسير في الأرض، والنظر في آثار تلك الأمم، والاعتبار بمصائرها وعواقبها، ونبَّههم القرآن الى أن مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً. فكان هذا الإرشاد القرآني المتكرر حفزاً الى التنقيب عن آثار المدنيات القديمة ودراستها والإطلاع على الصالح النافع منها والأخذ به. وكان من آثار هذا التنبيه القرآني أن تفتحت أذهان المسلمين – ولا أعنيكم – الى دراسة هذه المدنيات واقتباس النّافع منها، وكان في فضل القرآن على العالم أنه أبقى بهذا الإرشاد على علوم كادت تندرس وعلى آثار مدنيات كادت تنطمس.

إن الفائدة الكبرى التي يعلقها القرآن على السَّير في الأرض والوقوف على آثار الأمم البائدة هي الاعتبار بحال الضّالين وعُقبى الظالمين، ليعلم المعتبر أن الظُلم هو سوس المدنيات فيقيم العدل، وإذا جاء العدل جاء العمران، وإذا جاء العمران قامت المدنية، وكان العدل سياجها والعلم سراجها وهذه هي مدنية الإسلام.

إن إرشاد الإسلام للمسلمين بأخذ الصالح النافع أينما وجد، هو الذي دفعهم بعد تمكين سلطانهم، وتمهّد ملكهم الى البحث عن الآثار العقلية للأمم التي سبقتهم، فاطّلعوا على ما أنتجت قرائح يونان وفارس والهند في العلم والآداب فنقلوها الى لغة القرآن، ووجدوا فيها خير معين على ذلك.

أيها الإخوان:

هنا الجانب العامر من لغتكم، وهنا النقطة التي سُقنا هذا الحديث كله من أجلها، وهُنا الموضوع وهو فضل اللغة العربية على العلم والمدنية.

أيها الإخوان:

لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متّسعة الآفاق، غنية بالمفردات والتراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا اليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، ولألزمتهم الحاجة الى تلك العلوم بتعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عرباً بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برمته.

لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية، لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون.

قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم، ونظمها الاجتماعية وآدابها، فوعت الفلسفة بجميع فروعها، الرياضيات بجميع أصنافها. والطب والهندسة والآداب والاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة. وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول، وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذي إمّا أن تنقله اليك فيكون قوّة فيك، وإن تنتقل اليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك. وقد تفطّن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا اليه.

وقد قامت لغتهم بحفظ هذا الجزء الضروري من الضياع بانتشاله من أيدي الغوائل، وبنقله الى الأواخر عن الأوائل، وبذلك طوّقت العالم مِنَّة لا يقوم لها الشكر، ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير.

أيها الإخوان:

إن كثيراً من العلوم التي بُنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين مِنّا ومنهم، وإن المنصفين منهم ليعترفوا للّغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية، ويوفونها حقّها من التمجيد والاحترام. ويعترفون لعلماء الإسلام بأنهم أساتذتهم في هذه العلوم، عنهم أخذوها، وعن لغتهم ترجموها، وإنهم يحمدون للدهر أن هيّأ لهم مجاورة المسلمين بالأندلس وصقلّية وشمال افريقية وثغور الشام، حتى أخذوا عنهم ما أخذوا، واقتبسوا عنهم ما اقتبسوا، ولا يزال هؤلاء المنصفون يذكرون فضل معاهد الأندلس العربية، ومعاهد شمال افريقية، ومعاهد الشام على الحضارة القائمة، ولا يزالون ينتهجون بعض المناهج الدراسية الأندلسية في معاهدهم الى الآن، ولا يزالون يردّون كل شيء الى أصله، ويعترفون لكل فاضل بفضله.

وهاهنا أيها الإخوان مسألة يجب الكشف عن حقيقتها: فقد كثرت فيها المغالطات، وجنى عليها تعصّب المتعصبين، من ذوي الدخائل السيئة من الغربيين ومقلديهم حتى

أصبح باطلها حقاً، وكذبها صدقاً، ووهمها حقيقة، وحتى أصبح هذا الوهم من المسلّمات التي لا تقبل الجدل عند أبنائنا الذين تلقّوا العلم على أيدي أولئك المتعصبين: وهي أن العرب ليس لهم فيما ترجموا إلا النقل المجرّد، وإنهم لم يزيدوا شيئاً في التّراث الفكري الذي نقلوه، وإن وظيفتهم في هذه الوساطة وظيفة الناقل الأمين الذي ينقل الشيء كما هو ملفوفاً من يد الى يد.

أغلوطة ملأت كتب الكثير منهم، وتردّدت على ألسنتهم، يمهدون بها الى وصم العربي بأنه بليد الفكر، جامد القريحة، سطحي التفكير، مسدود الشهيّة العلمية، ويتوسّلون بذلك الى تزهيد العربي في مزايا إسلامه، واحتقاره لها ولهم.

والحقيقة التي يؤيدها الواقع ويشهد بها المنصفون منهم: أن العرب حينما نقلوا علوم الأوائل كما كانوا يسمونها، نقلوا بدافع وجداني الى العلم، ورغبة ملحّة فيه. وإنهم نقلوا ليستقلوا وليستغلوا ولينتفعوا بثمرة ما نقلوا، ولا يتم لهم هذا الإستقلال بالعلم إلا بالتمحيص والتصحيح.

ومن الثابت عندنا أن عهد الترجمة كان عهد اضطراب في هذه العلوم المترجمة ردّت فيه التبعة على المترجمين، ثم انجلت الرغوة وعمل الفكر العربي الوقّاد عمله.

أيها الإخوان:

إن العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة مدنية الخير العام والنفع العام، ولم تخدم علماً خاصاً بأمة، وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فُروعه النافعة. ومن يستقرئ خاصة هذه اللغة لعلم الطبّ وحده، يتبيّن مقدار ما أفاءت هذه اللغة على البشرية من خير ونفع.

وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبّط في ظلمات الجهل، هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته.

أيها الإخوان:

هذا فضل لغتكم على المدنية الإنسانية وفضلها على الأمم غير العربية.

وأما فضلها على الأمم العربية فإنه يزيد قدراً وقيمة على فضلها على الأمم الأخرى،وإذا قلنا الأمم العربية فإننا نعني الأمم الإسلامية كلها، لأنها أصبحت عربية بحكم الإسلام ولغة الإسلام.

فاللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلّها ظلّه كانت سبباً في تقارب تفكيرهم، وتشابه عقلياتهم، وتمازج أذواقهم، وتوحيد مشاربهم.

وإن هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة الأجناس. ولولا العربية لاختلفت الأمم الإسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية، وقد وقع بعضه ولكنّه من القلة بحيث لا يظهر أثره في الحركة العامة للأمة.

إن الأمم التي دخلت في الإسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسيّة وأنماط التفكير، متفاوتة في الإدراك والذكاء، متفاوتة في القابلية والاستعداد، متفاوتة في التصوير والتخيل، ولكن اللغة العربية فتحت عليها آفاقاً جديدة في كل ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية ودفعتها بما فيها من قوّة، وبما لها من سلطان الى التفكير والتعقل على منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخامدة الى التحرّك، وزادت الأفكار المتحركة قوة على قوة.

أيها الإخوان:

إن اللغة العربية هي التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق، وبين الفكر البربري الرّصين الهادئ، ثم هيّأت لكل فكر قابليته.

واللغة العربية هي التي سهّلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية، ومهّدت لها الطرائق المؤدية اليهما حتى أخذت كل أمة حظّها منها.

واللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها، وأمدّتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنيّة التي تعجز أيّة لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة واستعارة. فبحثوا في كل علم، وبحثوا في كل فن، وملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين، ومن عرف كتاب ابي حنيفة الدينوري في النبات، وكتاب أبي عبيدة في الخيل، وكتاب الهمداني في تخطيط جزيرة العرب، وكتاب الجاحظ

في الحيوان، وكتب الأئمة في الطب والنجوم والإبل، رأى العجب العُجاب من اتساع هذه اللغة، وغزارة مادتها، وعلم مقدار أفضالها على الأمة العربية، كما أن من يقرأ شعر الشعراء النّفسيين من الفرس بهذه اللغة، وشعر الشعراء الوصافين من الأندلس يتجلى له أي إفضال أفضلته العربية على تلك القرائح الوقّادة التي وجدت في العربية فيضاً لا ينقطع مدده، وإضافته الى فيض الإستعداد، وما أمتن الإنتاج الأدبي اذا كان يصدر عن اتساع في اللغة واتساع في الخيال.

أيها الإخوان:

إن النهضة العربية الحارّة في الشرق مفتقرة الى كثير من المصطلحات العلمية والصناعية، وما زلنا نقرأ من سنوات على إهتمام قادة النهضة بهذه المشكلة، ونقرأ اختلافاً في الوجهة، وهل الأصلح البحث عن مصطلحات عربية أصيلة، او استعارة هذه المصطلحات من لغات العلم الأجنبية، وإن غاية ما استنجد به أصحاب الرأي الأول المعاجم اللغوية. واعتقد أنه لو كانت الكتب العلمية والفنية التي كتبها أسلافنا موجودة بين أيدينا، ولم تغلها غوائل الدهر، لوجدنا فيها من هذه المصطلحات ما يفي بحاجتنا او يقارب ولكنها – ويا للأسف– ضاعت، وضاعت علينا بضياعها ثروة لا تقوّم بمال.

هذا كتاب الحيوان لأبي حنيفة شدّت في طلبه الرِحال من عشرات السنين، وانفقت على تحصيله بِدَرُ[1] المال، وتبارى هواة الكتب في طلبه في جميع أقطار الأرض فلم يُعثر له على أثر. وإن من يقرأ ما ينقله عنه أبن سِيده في كتاب (المُخَصّص) يسترخص في سبيله كل غال، ويستسهل كلّ صعب.

أيها الإخوان:

هذا عرض بسيط لبعض ما للغتنا من فضل على العلم والمدنية.

وإن هذا المبحث في حدّ ذاته موضوع طريف، يحتاج الى بحث عميق ودراسة مستفيضة، ويتطلّب جهداً قوياً ووقتاً متسعاً، ولو أن باحثاً عربياً يساعده وقته وحاله

(١) البَدْرُ: كيس فيه ألف او عشرة آلاف درهم، او سبعة آلاف درهم. الجمع: بُدور، وبِدَرٌ.

على استقراء هذا الموضوع، لكتب فيه المجلّدات، ولبَثَّ في ناشئتنا روحاً جديدة من الحماس للغتهم والتعلّق بها والكد في تحصيلها والتعاظم بجمالها، ولكان ذلك مقاوماً لروح التزهيد الخبيثة التي لابست عقولهم.

أيها الإخوان:

إن المستعربين من علماء المشرقيات فريقان متّفقان في الاعتقاد بجمال هذه اللغة والاعتراف بمزاياها على العلم والمدنية، مُختلفا الدواعي والبواعث في معاملتها.فريق ينظر اليها نظر الهون والمصلحة فينادي بموتها، ويعمل على موتها، ويزهد فيها الناس، ويتجنّى عليها، وينحلها العيوب.

وفريق ينظر اليها نظر العلم المجرّد فيتعلمها بإخلاص ويَحضّ على تعلّمها، ويشيد بَذكرها في المحافل والكتب.

وإن لهذا الفريق في خدمة اللغة العربية أيادي بيضاء يستحقون عليها الشكر العظيم من أبناء هذه اللغة. فكم كتبوا عنها مؤلفات، وكم عقدوا للبحث عن دقائقها مؤتمرات، وكم طبعوا من اسفارها القيّمة في اللغة والأدب والتاريخ والعلوم، ولو لم يكن من فضلها عليها إلا إحياء أمهات علمية عجزنا نحن عن إحيائها لكان ذلك موجباً لعرفان جميلهم وإذا كان فضل العربية في القديم عظيماً. فقد قابلوا الفضل بفضل ولهم الشكر على كل حال. إن في هذه النقطة موضع اعتبار: وهي إنه إذا كان الأجنبي عن هذه اللغة يعرف لها فضلها فيحيي من آثارها ما استطاع، ويحثّ قومه على تعلّمها والاستفادة من ذخائرها، وحكومته من ورائه تجمع له مئات الآلاف من أسفارها القيّمة، فماذا صنعنا نحن ونحن ابناؤها حقيقة؟

الحق أن ما صنعناه نحن لهذه الأمّ ضئيل، وأن ما أنفقناه في سبيلها قليل ولكن النيّة في خدمتها صحيحة والرغبة في تعلّمها ملحّة.

وعلى الله قصد السبيل ...

المحتـــوى

مقدمة..... ٧
لغة القرآن..... ٩
حول تدوين لغة القرآن..... ٩
لغةً واسعة:..... ١١
فضل لغة القرآن:..... ١٦
القرآن الكريم حفظ اللغة العربية من الضياع: ١٨
الصلة بين الإسلام والعربية:..... ١٩
إنتشار الإسلام كان السبب في انتشار اللغة العربية:..... ٢٠
حُكم تعلم اللغة العربية: ٢٠
شعوب آثرت لغة القرآن:..... ٢٣
غير العرب ولغة القرآن:..... ٢٤
السلف واللحن: ٢٥
تأثير لغة القرآن في لغات العالم: ٢٧
من ميزات لغة القرآن:..... ٢٨
الكلام بغير العربية في بلاد العرب: ٢٨
بين العربية واللغات الاخرى: ٢٩
عربية القرآن تربي المسلم على القوة والشجاعة: ٢٩
الصحابة ومنهجهم في التفسير عن طريق اللغة والشعر: ٣٠
اللغة العربية وتفسير القرآن..... ٣١

قالـوا في لغة العرب ٣٤
اللغة العربية والمنصفون من المستشرقين ٣٩
لغة القرآن في مواجهة التحديات ٤٤
المستعمرون ولغة القرآن: ٤٤
فرنسا واللغة العربية: ٤٦
فرنسا في بلاد الشام: ٤٧
فرنسـا في الجزائـر: ٤٧
فرنسا في المغرب العربي: ٤٨
فرنسا في إفريقية الوسطى: ٤٩
اهتمام فرنسا بلغتها الفرنسية: ٥٠
الانكليز واللغة العربية: ٥٠
اسرائيل واللغة العربية ٥٣
اسرائيل واللغة العبرية: ٥٤
شذرات في لغة القرآن ٥٧
هوية الأمة الإسلامية: ٥٧
العربية لم تتغير: ٥٧
العربية لا تموت: ٥٨
ترك لغة القرآن خسارة: ٥٨
التغني بلغة القرآن: ٥٨
واجبنا تجاه لغة القرآن: ٥٩
لماذا الحديث في لغة القرآن: ٦٠
العربية: فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية ٦١